

محمود درویش

لا تعذر عما فعلت



دار الفکر
DAR AL FAKR PUBLISHERS

منتديات
الكوكب العاشر

لا تعتذر عما فعلت

محمود درويش
لا تعتذر عما فعلت

القصائد

- I - في شهوة الإيقاع
- 1 - يختارني الإيقاع
 - 2 - لي حكمة المحكوم بالإعدام
 - 3 - سيحيي يوم آخر
 - 4 - وأنا، وإن كنت الأخير
 - 5 - في بيت أُمي
 - 6 - لا تعتذر عما فعلت
 - 7 - في مثل هذا اليوم
 - 8 - أنزل هنا والآن
 - 9 - إن عدت وحدك
 - 10 - لم أعتذر للبشر
 - 11 - لا راية في الريح
 - 12 - سقط الحصان عن القسيطة
 - 13 - لبلادنا
 - 14 - ولنا بلاد
 - 15 - لا شيء إلا الضوء

- ٤٥ - 16 - نرف الحبيب شقائق النعمان
- ٤٧ - 17 - في القدس
- ٤٩ - 18 - بغياها كؤنت صورتها
- ٥١ - 19 - الأربعاء، الجمعة، السبت
- ٥٣ - 20 - زيتونان
- ٥٧ - 21 - لا ينظرون وراءهم
- ٥٩ - 22 - لم يسألوا: ماذا وراء الموت
- ٦١ - 23 - قتلى ومجهولون
- ٦٣ - 24 - السرورة انكسرت
- ٦٥ - 25 - رجل وعشفت في الحديقة
- ٦٩ - 26 - هذا هو النسيان
- ٧١ - 27 - تُنسى، كأنك لم تكن
- ٧٥ - 28 - أما أنا، فأقول لاسمي
- ٧٩ - 29 - الحلم، ما هو؟
- ٨١ - 30 - الآن إذ تصحو، تذكّر
- ٨٣ - 31 - الظلّ
- ٨٥ - 32 - لا شيء يعجبني
- ٨٧ - 33 - هو هادئ وأنا كذلك
- ٨٩ - 34 - وصف الغيوم
- ٩٣ - 35 - هي جملة اسمية
- ٩٥ - 36 - قل ما تشاء
- ٩٧ - 37 - لا تكسب التاريخ شعراً
- ١٠١ - 38 - ماذا سيقى
- ١٠٣ - 39 - لا أعرف اسمك
- ١٠٥ - 40 - هي في المساء
- ١٠٩ - 41 - في الانتظار

- ١١١ 42 - لو كنتُ غيري
١١٣ 43 - شكراً لتونس
١١٥ 44 - لي مقعد في المسرح المهجور
١١٧ 45 - في الشام
١١٩ 46 - في مصر
١٢١ 47 - أتذكر الشيا
١٢٣ II - طريق الساحل
١٣١ III - لا كما يفعل السائح الأجنبي
١٣٩ IV - بيت من الشعر/ بيت الجنوبي
١٤٩ V - كحادثة غامضة
١٥٧ VI - ليس للكردي إلاّ الريح

منتديات
الكوكب
العاشد

توارد خواطر، أو توارد مصائر:

لا أَنْتِ أَنْتِ
ولا الديارُ ديارُ
[أبو تمام]

والآن، لا أنا أنا
ولا البيتُ بيتي
[لوركا]

منتديات
الكوكب
العاشد

في شهوة الإيقاع

مكتبة الدكتور محمد العبد

يختارني الإيقاع

يُخْتَارُنِي الإِيْقَاعُ، يَشْرُقُ بِي
 أَنَا زَجْجَعُ الْكَمَانِ، وَلَسْتُ عَازِفُهُ
 أَنَا فِي حَضْرَةِ الذِّكْرَى
 صَدَى الْأَشْيَاءِ تَنْطَلِقُ بِي
 فَأَنْطَلِقُ ...
 كُلُّمَا أَصْغَيْتُ لِلْحَجَرِ اسْتَمَعْتُ إِلَى
 هَدْيِلِ يَمَامَةِ بِيضَاءِ
 تَشْهَقُ بِي:
 أَعْيِي! أَنَا أُخْتَلِكُ الصُّغْرَى،
 فَأَذْرِفُ بِاسْمِهَا دَمْعَ الْكَلَامِ
 وَكُلُّمَا أَبْصُرْتُ جَذَعَ الزَّنْزَلِخَاتِ
 عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْعَمَامِ،

سمعت قلب الأم

يخفق بي:

أنا امرأة مُطَلَّقة،

فألعن باسمها زيرَ الظلامِ

وكُلِّما شاهدتُ مرآةً على قمرٍ

رأيتُ الحبَّ شيطاناً

يُحْمِلُنِي بي:

أنا ما زلتُ موجوداً

ولكن لن تعود كما تركتك

لن تعود، ولن أعود

فيكملُ الإيقاعُ دَوْرَتَهُ

ويشرقُ بي ...

لي حكمة المحكوم بالإعدام

لي حِكْمَةُ المحكوم بالإعدام:
 لا أشياء أملكها لتملكني،
 كتبتُ وصيِّي بدمي:
 «ثقوا بالماء يا سُكَّانَ أُغْنِيَتِي!»
 وَنَمْتُ مُضَرَّجاً وَمُتَوَّجاً بغدي ...
 خَلِمْتُ بَأَنَّ قَلْبَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ
 من خريطتها،
 وَأَوْضَحُ من مراياها وَمِشَقَّتِي.
 وَهَمْتُ بِغِيَمَةٍ بِيضَاءٍ تَأْخُذْنِي
 إِلَى أَعْلَى
 كَأَنِّي هُذُودٌ، وَالرَّيْحُ أَجْنَحَتِي.
 وَعِنْدَ الْفَجْرِ، أَبْقِظُنِي

نداء الحارس الليلي
 من حلمي ومن لغتي:
 ستحيا ميتة أخرى،
 فعدّل في وصيتك الأخيرة،
 قد تأجل موعد الإعدام ثانية
 سألت: إلى متى؟
 قال: انتظر لتموت أكثر
 قلت: لا أشياء أملكها لتملكني
 كتبت وصيتي بدمي:
 «ثقوا بالماء
 يا سكان أغنيتي!»

سيجيء يوم آخر

سيجيء يوم آخر، يوم نسائي
 شفيف الاستعارة، كامل التكوين،
 ماسي زفافي الزيارة، مُشمس،
 سلس، تخفيف الظل. لا أحد يُجس
 برغبة في الانتحار أو الرحيل. فكل
 شيء، خارج الماضي، طبيعي حقيقي،
 رديف صفاته الأولى. كأن الوقت
 يرقد في إجازته... «أطيلي وقت زينتك
 الجميل. تشمسي في شمس نهديك الحريين،
 وانتظري البشارة ريثما تأتي. وفي ما
 بعد نكبر. عندنا وقت إضافي
 لنكبر بعد هذا اليوم...»/

سوف يجيء يوم آخر، يوم نسائي
 غنائِي الإشارة، لازورديّ التحية
 والعبارة. كُلُّ شيء أنثويّ خارج
 الماضي. يسيلُ الماءُ من ضرع الحجارة.
 لا عُتَارَ، ولا جَفَافَ، ولا حَسَارَةَ.
 والحمامُ ينامُ بعد الظهر في دَبَابَةِ
 مهجورة إن لم يجد عُشّاً صغيراً
 في سرير العاشقين...

وأنا، وإن كنت الأخير

وأنا، وإن كُنتُ الأخير،
 وَجَدْتُ ما يكفي من الكلمات ...
 كُلُّ قصيدة رَسَمَ
 سأرسم للسنوات الآن خارطة الربيع
 وللمشاة على الرصيف الزيفون
 وللنساء اللازورد ...
 وأنا، سيحملني الطريق
 وسوف أحمله على كتفي
 إلى أن يستعيد الشيء صورته،
 كما هي،
 واسمه الأصلي في ما بعد/

كُلُّ قَصِيدَةٍ أُمُّ
تَفَقُّشٍ لِلسَّحَابَةِ عَنْ أَنْحِيهَا
قَرَبَ بَثْرِ الْمَاءِ:
«يَا وَلَدِي! سَأُعْطِيكَ الْبَدِيلَ
فَإِنِّي حُبْلَى ...»/
وَكُلُّ قَصِيدَةٍ حُلْمٌ:
«خَلِغْتُ بِأَنْ لِي حُلْمًا»
سَيَحْمِلُنِي وَأَحْمِلُهُ
إِلَى أَنْ أَكْتُبَ السَّطْرَ الْأَخِيرَ
عَلَى رِخَامِ الْقَبْرِ:
«نَمْتُ ... لَكِي أَطِيرُ»

... وَسَوْفَ أَحْمِلُ لِلْمَسِيحِ حِذَاءَهُ الشَّتَوِيَّ
كَيْ يَمْشِيَ، كَكُلِّ النَّاسِ،
مِنْ أَعْلَى الْجِبَالِ ... إِلَى الْبَحِيرَةِ

في بيت أمي

في بيت أمي صُورَتي ترنو إلي
 ولا تكفُ عن السؤال:
 أأنت، يا ضيفي، أنا؟
 هل كنت في العشرين من عمري،
 بلا نظارة طبية،
 وبلا حَقَائِبَ؟
 كان تُقَبُّ في جدار السور يكفي
 كي تعلّمك النجومُ هوايةَ التحديقِ
 في الأبدِي ...
 [ما الأبدِي؟ قُلْتُ مخاطباً نفسي]
 ويا ضيفي ... أأنت أنا كما كنا؟
 فَمَنْ مَنَّا تنصّل من ملامحِهِ؟

أَتَذْكُرُ حَافِزَ الْفَرَسِ الْحُرُونِ عَلَى جَيْبِنِكَ
 أَمْ مَسَّحَتْ الْجُزْخُ بِالْمَكْيَاجِ كَيْ تَبْدُو
 وَسِيمَ الشَّكْلِ فِي الْكَامِيرِ؟
 أَنْتِ أَنَا؟ أَتَذْكُرُ قَلْبَكَ الْمُثْقَبَ
 بِالنَّايِ الْقَدِيمِ وَرِيْشَةِ الْعَنْقَاءِ؟
 أَمْ غَيَّرْتَ قَلْبَكَ عِنْدَمَا غَيَّرْتَ دَرْبَكَ؟

قلت: يا هذا، أَنَا هُوَ أَنْتِ
 لَكِنِّي قَفَزْتُ عَنِ الْجِدَارِ لَكِي أَرَى
 مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ رَأَيْتِ الْغَيْبَ أَقْطَعُ
 مِنْ حَدَائِقِهِ الْمُعْلَقَةِ الْبِنْفَسِجَ بِاحْتِرَامٍ ...
 رُبَّمَا أَلْقَى السَّلَامَ، وَقَالَ لِي:
 عُدْ سَالِمًا ...

وقفزت عن هذا الجدار لَكِي أَرَى
 مَا لَا يُرَى
 وَأَقْبَسَ عُثْمَقُ الْهَآوِيَةَ

لا تعتذر عما فعلت

لا تعتذر عما فعلت - أقول في
 سرّي. أقول لآخري الشخصي:
 ها هي ذكرياتك كُلها مرئية:
 صَجَرُ الظهيرة في ثعاس القطّ/
 غُرف الديك/
 عطر المريّة/
 قهوة الأم/
 الحصيرة والوسائد/
 باب غُرفتكَ الحديديّ/
 الذبابة حول سقراط/
 السحابة فوق أفلاطون/
 ديوان الحماسة/

صورة الأب/

مُعْجِزُ البلدان/

شيكسبير/

الأشقاء الثلاثة، والشقيقات الثلاث،
وأصدقاءك في الطفولة، والفضوليون:
«هل هذا هو؟» اختلف الشهود:
لعله، وكأنه. فسألت: «مَنْ هو؟»
لم يُجيبوني. هَمَسْتُ لآخرى: «أهو
الذي قد كان أنت ... أنا؟» فغضَّ
الطرف. والتفتوا إلى أُمِّي لمشهد
أَنِّي هُوَ ... فاستعددت للغناء على
طريقتها: أنا الأم التي ولدته،
لكِنَّ الرياح هي التي رَبَّته.
قلت لآخرى: لا تعذر إلا لأُمِّك!

في مثل هذا اليوم

في مثل هذا اليوم، في الطُّرف الخفي
 من الكنيسة، في بهاءٍ كاملٍ التأنيث،
 في السنة الكبيسة، في التقاء الأخضر
 الأبدى بالكُحلي في هذا الصباح، وفي
 التقاء الشكل بالمضمون، والحسي بالصوفي،
 تحت عريشة فُصْفَاصَةٍ في ظلّ دوريّ
 يورثُ صورة المعنى، وفي هذا المكان
 العاطفيّ /

سألتقي بنهايتي وبدايتي
 وأقول: ويحكما! خذاني وأتركنا
 قلب الحقيقة طازجاً لبنات آوى الجماعات،
 أقول: لستُ مواطناً

أو لاجئاً
وأريد شيئاً واحداً، لا غير،
شيئاً واحداً:

موتاً بسيطاً هادئاً
في مثل هذا اليوم،
في الطرف الخفي من الزنابق،
قد يُقَوِّضُنِي كثيراً أو قليلاً
عن حياة كنت أخصيها
دقائق

أو رحيلاً
وأريد موتاً في الحديقة
ليس أكثر أو أقل!

أَنْزِلْ، هُنَا، وَالْآنَ

أَنْزِلْ، هُنَا، وَالْآنَ، عَنْ كَيْفَيْكَ قَبْرَكَ
 وَأَعْطِ عُظْمَكَ فُرْصَةً أُخْرَى لِتَرْمِيَمِ الْحِكَايَةِ
 لَيْسَ كُلُّ الْحُبِّ مَوْتًا
 لَيْسَتْ الْأَرْضُ اغْتِرَابًا مَرْمَنًا،
 فَلَرَبَّمَا جَاءَتْ مَنَاسِبُهُ، فَتَنَسَّى
 لَشَعَةَ الْعَسَلِ الْقَدِيمِ، كَأَنَّهُ تَحَبَّبَ
 وَأَنْتَ لَا تَدْرِي فِتْنَةً لَا تَحْبَبُكَ
 أَوْ تَحْبُكَ، دُونَ أَنْ تَدْرِي لِمَاذَا
 لَا تَحْبُكَ أَوْ تَحْبَبُكَ /
 أَوْ تَحْسُ وَأَنْتَ مُسْتَنِدٌّ إِلَى دَرَجٍ
 بِأَنَّكَ كُنْتَ غَيْرَكَ فِي الشَّائِيَاتِ /
 فَاخْرُجْ مِنْ «أَنَا» كَ إِلَى سِوَاكَ

ومن رُؤَاكَ إلى شُطَّاكَ
 ومُدَّ جِسْرَكَ عَالِيَا،
 فاللامكانُ هُوَ المكيدهُ،
 والبُعوضُ على السياجِ يُحَكُّ ظَهْرَكَ،
 قد تذكُرُكُ البُعوضَةُ بالحياة!
 فجزِّبِ الآنَ الحياةَ لكي تُدْرِيكَ الحياةُ
 على الحياةِ،
 وخفِّفِ الذكري عن الأُنثى
 وأنزِلِ
 ها هنا
 والآنَ
 عن كتفِكَ ... قَبْرَكَ!

إن عدت وحدك

إن عُدَّتْ وَحَدَّكَ، قُلْ لِنَفْسِكَ:
 غَيَّرِ الْمُنْفَى مَلامِحَهُ ...
 أَلَمْ يَفْجِئْ أَبُو تَمَّامٍ قَبْلَكَ
 حِينَ قَابَلَ نَفْسَهُ:
 «لَا أَنْتَ أَنْتِ
 وَلَا الدِّيَارُ هِيَ الدِّيَارُ» ...

ستحمل الأشياءُ عنك شعوركَ الوطني:
 تنبتُ زهرةٌ برتَّةٌ في ركنك المهجور/
 ينقُرُ طائرُ الدوري حَرْفَ «الحاء»،
 في اسمك،
 في لُحَاءِ الثَّنِيَّةِ المكسور/

تَلَسُّعُ نَحْلَةٍ يَدُكَ الَّتِي امْتَدَّتْ
إِلَى زَعْبِ الْإِوَرَةِ خَلْفَ هَذَا السُّورِ/

أَمَّا أَنْتِ،

فَالْمَرَأَةُ قَدْ حَذَلْتِكِ،

أَنْتِ ... وَلَيْسَتْ أَنْتِ، تَقُولُ:

«أَيْنَ تَرَكْتِ وَجْهِي؟»

ثُمَّ تَبْحَثُ عَنْ شَعُورِكَ، خَارِجَ الْأَشْيَاءِ،

بَيْنَ سَعَادَةٍ تَبْكِي وَالْحَيَاظِ يُقَهِّقُهُ ...

هَلْ وَجَدْتَ الْآنَ نَفْسَكَ؟

قُلْ لِنَفْسِكَ: عُذْتُ وَحْدِي نَاقِصاً

قَمَرَيْنِ،

لَكِنَّ الدِّيَارَ هِيَ الدِّيَارُ!

10

لم أعتذر للبئر

لم أَعْتَذِرُ للبئر حين مَرَزْتُ بالبئر،
 استَعَرْتُ من الصَّنَوْبَةِ العتيقة غيمةً
 وعَصَرْتُها كالبرتقالة، وانتظرتُ غزالة
 يضاء أسطوريَّةً. وأَمَرْتُ قلبي بالترتُّب:
 كُنْ حياديًّا كأنك لَسْتَ مني! ها هنا
 وقف الرعاةُ الطيِّبون على الهواء وطَوَّروا
 النايات، ثم استندرجوا حَجَلِ الجبال إلى
 الفخاخ. وها هنا أَشْرَجْتُ للطيران نحو
 كواكبي فَرَسَاءً وطَرْتُ. وها هنا قالت
 لي العرَّافَةُ: احذِرْ شارع الإسفلت
 والعربات وأَمْسِ على زفيرك. ها هنا
 أَرخَيْتُ ظِلِّي وانتظرتُ، آخَرْتُ أَصْغَرَ

صخرة وَسَهَرْتُ. كَثُرْتُ الخرافة وانكسرت.
 وَدُرْتُ حول البئر حتى طُرْتُ من نفسي
 إلى ما ليس منها. صاح بي صوت
 عميق: ليس هذا القبرُ قَبْرُكَ، فاعتذرت.
 قرأت آيات من الذكر الحكيم، وَقُلْتُ
 للمجهول في البئر: السلام عليك يوم
 قُتِلْتُ في أرض السلام، وَيَوْمَ تَصْعَدُ
 من ظلام البئر حيتا!

لا راية في الريح

لا راية في الريح تخفقُ/
 لا حصانٌ سابحٌ في الريح/
 لا طَبْلٌ يُسَمِّرُ بارتفاع الموج
 أو بهبوطه،
 لا شيء يحدث في التراجيديا هذا اليوم/
 أُسْدِلَت الستارةُ/
 غادَرَ الشعراء والمتفرجون،
 فلا أَرْزُ/
 لا مظاهرةُ/
 ولا أغصانَ زيتونٍ تُحْيِي الهابطينَ
 من المراكب مُتَعَبِينَ من الرِّعَافِ
 ونخفَةُ الفصل الأخير/

كَأَنَّهُمْ يَأْتُونَ مِنْ قَدَرٍ إِلَى قَدَرٍ /
 مَصَائِرُهُمْ مُدَوَّنَةٌ وَرَاءَ النَّصِّ،
 لِغَرِيقَةٍ فِي شَكْلِ طُرُودِيَّةٍ،
 بِيضَاءٍ، أَوْ سَوْدَاءٍ /

لَا انكسروا وَلَا انتصروا
 وَلَمْ يَتَسَاءَلُوا: مَاذَا سَيَحْدُثُ فِي صَبَاحِ غَدٍ
 وَمَاذَا بَعْدَ هَذَا الْإِنْتَظَارِ الْهَوْمِيرِيِّ؟ /
 كَأَنَّهُ حُلُمٌ جَمِيلٌ يُتَصَفَّ الْأَسْرَى
 وَيُسَبِّغُهُمْ عَلَى اللَّيْلِ الْمُحَلِيِّ الطَّوِيلِ،
 كَأَنَّهُمْ قَالُوا:

« نُدَاوِي جَرَحْنَا بِالْمَلْحِ »
 « نَحْيَا قَرَبَ ذِكْرَانَا »
 « نَجْرِبُ مَوْتَنَا الْعَادِيَّ »
 « نَنْتَظِرُ الْقِيَامَةَ، هَهُنَا، فِي دَارِهَا »
 فِي الْفَصْلِ مَا بَعْدَ الْأَخِيرِ... »

سقط الحصان عن القصيدة

سَقَطَ الحصانُ عن القصيدةِ
والجلياتِ كُنَّ مُبَلَّلَاتٍ
بالقراشِ وبالندى،
يَرْتَضِرُّ فوق الأفحوانِ

□

الغائبان: أنا وأنتِ
أنا وأنتِ الغائبانِ

□

زوجا يمام أبيضانِ
يَتَسَامِرَانِ على غُصُونِ السنديانِ

□

لا لحبٍّ، لكنني أُحبُّ قصائدَ
الحبِّ القديمة، تحرسُ
القَمَرِ المريضِ من الدخانِ



كثرة وفرة، كالكمّنجية في الرباعياتِ
أناي عن زماني حين أدنو
من تضاريس المكان ...



لم يبقَ في اللغة الحديثة هامشٌ
للاحتفاء بما نحبُّ،
فكلُّ ما سيكون ... كان



سقط الحصان مُضَرَّجاً
بقصيدتي
وأنا سقطتُ مُضَرَّجاً
بدمِ الحصان ...

13

لبلادنا

لبلادنا،

وهي القريبة من كلام الله،

سَقَفٌ من سحاب

لبلادنا،

وهي البعيدة عن صفات الاسم،

خارطة الغياب

لبلادنا،

وهي الصغيرة مثل حبة شمس،

أفقٌ سماوي ... وهاوية خفية

لبلادنا،

وهي الفقيرة مثل أجنحة القطا،

كُتِبَ مُقَدَّمَةٌ ... وجرح في الهوية

لبلادنا،
وهي المطوّقة الممرّقة التلال،
كمائنُ الماضي الجديد
لبلادنا، وهي السَّيِّئَةُ
حُرْيَةُ الموت اشتياقاً واحتراقاً
وبلادنا، في ليلها الدمويّ
جَوْهَرَةٌ تشعُّ على البعيد على البعيد
تُضيء خارجها ...
وأما نحن، داخلها،
فتزدادُ احتراقاً!

ولنا بلاد

ولنا بلادٌ لا تُحدودُ لها، كفكرتنا عن
المجهول، ضيقةٌ وواسعةٌ. بلادٌ ...
حين نمشي في خريطتها تضيقُ بنا،
وتأخذنا إلى نَفَقِ رمادي، فنصرخ
في مناهتها: وما زلنا نحبك. تحبنا
مَرَضٌ ورائي. بلادٌ ... حين
تبتدنا إلى المجهول ... تكبرُ. يكبرُ
الصفصافُ والأوصافُ. يكبرُ عُشْبُها
وجبالُها الزرقاء. تتسعُ البحيرةُ في
شمالِ الروح. ترتفعُ السنابلُ في جنوب
الروح. تلمعُ حَبَّةُ الليمون قنديلاً
على ليل المُهاجر. تسطعُ الجغرافيا

كُتِبَ مُقَدَّسَةً. وسلسلة النلال
 تصوير معراجاً، إلى الأعلى ... إلى الأعلى.
 «لو أنني طائرٌ لحرقْتُ أجنحتي» يقول
 لنفسه المنفي، رائحة الخريف تصوير
 صورة ما أحب... تسرب المطر
 الخفيف إلى جفاف القلب، فانفتح الخيال
 على مصادره، وصار هو المكان، هو
 الحقيقي الوحيد. وكل شيء في
 البعيد يعود ريفياً بدائياً، كأن الأرض
 ما زالت تكون نفسها للقاء آدم، نازلاً
 للطابق الأرضي من فردوسه. فأقول:
 تلك بلادنا الحُبلى بنا ... فمتى وُلِدنا؟
 هل تزوج آدم امرأتين؟ أم أنا
 سنولّد مرة أخرى
 لكي ننسى الخطيئة؟

لا شيء إلا الضوء

لا شيء إلا الضوء،
 لم أوقف حصاني
 إلا لأقطف وردة حمراء من
 بُشْتَانِ كُنْعَانِيَّةٍ أَغَوَتْ حصاني
 وتحصّنت في الضوء:
 «لا تدخل ولا تخرج» ...
 فلم أدخل، ولم أخرج
 وقالت: هل تراني؟
 فهمست: ينقصني، لأعرف، فارق
 بين المسافر والطريق، وفارق
 بين المغني والأغاني ...
 جلست أريحا، مثل حرف

من حروف الأبجدية، في أسمها
 وَكَبُوثٌ فِي أَسْمِي
 عِنْدَ مُفْتَرِّقِ الْمَعَانِي ...
 أَنَا مَا أَكُونُ غَدًا
 وَلَمْ أُوقِفْ حِصَانِي
 إِلَّا لَأَقْطِفَ وَرْدَةَ حَمْرَاءَ مِنْ
 بَسْتَانِ كَنْعَانِيَّةِ أَغْوْثِ حِصَانِي
 وَمُضِيْتُ أَبْحَثُ عَنْ مَكَانِي
 أَعْلَى وَأَبْعَدَ،
 ثُمَّ أَعْلَى ثُمَّ أَبْعَدَ،
 مِنْ زَمَانِي ...

16

نَرْفُ الحبيبُ شقائق النعمان

نَرْفُ الحبيبُ شقائق النُعمانِ،
 أَرْضُ الأرجوانِ تَلَأَلَتْ بِجُروجِهِ،
 أُولَى أَغانيها: دَمُ الحُبِّ الذي سَفَكته آلهةُ،
 وَآخِرُها دَمٌ ...
 يا شَعْبَ كَنْعانَ احفَظْ
 بِرِيعِ أَرْضِكَ، واشتَعلْ
 كَرهَورها، يا شَعْبَ كَنْعانِ المُجَرَّدَ من
 سَلاحِكَ، واكتمَلْ!
 من حُسنِ حَظِّكَ أَنتَ آخِرتَ الزِراعةَ مِهنَةً
 من سَوءِ حَظِّكَ أَنتَ آخِرتَ البِساتينَ
 القَريَّةَ من حُدودِ الله،
 حيثُ السِيفُ يَكتبُ سِيرةَ الصُّلَصالِ ...

فلتكن السنابلُ بجيشك الأبدى،
وليكن الخلودُ كلابَ صيدٍ
في حقول القمح،
ولتكن الأيايلُ حرّةً
كقصيدةٍ رعويةٍ ...

تَرَفَ الحبيبُ شقائق النعمان،
فاصفرّت صخورُ الشفح من
وجع المخاض الصعب،
واحمرّت،
وسال الماءُ أحمرَ
في عروق ريعنا ...
أولى أغانينا دَمُ الحُبِّ الذي
سفكته آلهة،
وآخرها دَمُ سَفَكَةِ آلهة الحديد...

في القدس

في القدس، أعني داخلَ الشُّور القديم،
 أسيرُ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ بلا ذكرى
 تُصَوِّني. فإن الأنبياء هناك يقتسمون
 تاريخَ المقدَّس ... يصعدون إلى السماء
 ويرجعون أَقلَّ إحباطاً وحزنًا، فالحِجَّةُ
 والسلامُ مُقدَّسان وقادمان إلى المدينة.
 كنت أمشي فوق مُنَحَدَرٍ وأهْجِسُ: كيف
 يختلف الرِّوَاةُ على كلام الضوء في حَجَرٍ؟
 أَمِنْ حَجَرٍ شحيح الضوء تندلُعُ الحروب؟
 أسير في نومي. أحملق في منامي. لا
 أرى أحداً ورائي. لا أرى أحداً أمامي.
 كُلُّ هذا الضوء لي. أمشي. أخفُّ. أطيُرُ

ثم أصير غيري في التجلي. تنبئت
 الكلمات كالأعشاب من فم أشعيا
 النبوي: «إن لم تؤمنوا لن تأمنوا».
 أمشي كأني واحدٌ غيري. وجرحي ورْدَةٌ
 بيضاءٌ إنجيليَّة. ويداي مثل حمامتين
 على الصليب تُحلِّقان وتعملان الأرض.
 لا أمشي، أطيِّر، أصيرُ غيري في
 التجلي. لا مكان ولا زمان. فمن أنا؟
 أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكني
 أفكر: وشدة، كان النبي محمَّدٌ
 يتكلَّم العريئة الفصحى. «وماذا بعد؟»
 ماذا بعد؟ صاحت فجأة جندية:
 هُوَ أَنْتَ ثانية؟ أَلَمْ أَقْتُلْكَ؟
 قلت: قَتَلْتَنِي ... ونسيْتُ، مثلك، أن أموت.

بغيايها كَوْنَتْ صُورَتِهَا

بغيايها، كَوْنَتْ صُورَتِهَا: مِنَ الْأَرْضِي
 يَتَدَى السَّمَاوِي الْخَفِيِّ. أَنَا هُنَا أَرْنُ
 الْمَدَى بِمَعْلَقَاتِ الْجَاهِلِيِّينَ ... الْغِيَابُ هُوَ
 الدَّلِيلُ هُوَ الدَّلِيلُ. لِكُلِّ قَافِيَةٍ أُقِيمَتْ
 خِيْمَةٌ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ
 قَافِيَةٌ. يُعَلِّمُنِي الْغِيَابُ دُرُوسَهُ: «لَوْلَا
 السَّرَابُ لَمَّا صَمَدَتْ...» وَفِي الْفَرَاغِ
 فَكَّكْتُ حُرُوفًا مِنْ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّاتِ الْقَدِيمَةِ،
 وَاتَّكَأْتُ عَلَى الْغِيَابِ. فَتَرَى أَنَا بَعْدَ
 الزِّيَارَةِ؟ طَائِرٌ، أَمْ عَابِرٌ بَيْنَ الرَّمُوزِ
 وَبَاعَةِ الذِّكْرِ؟ كَأَنِّي قِطْعَةٌ أَثَرِيَّةٌ،
 وَكَأَنَّنِي شَبَّحَ تَسْلَلٌ مِنْ يُونُسَ، وَقُلْتُ لِي:

فلنذهبن إلى تلال سبعة. فوضعت
أقنعتي على حجر، وسرت كما يسير
النائمون يقودني حلمي. ومن قمر إلى
قمر قفزت. هناك ما يكفي من اللاوعي
كي تتحرر الأشياء من تاريخها. وهناك
ما يكفي من التاريخ كي يتحرر اللاوعي
من معراجه. «خذني إلى سنواتنا
الأولى» - تقول صديقتي الأولى. «دعي
الشباك مفتوحاً ليدخل طائر الدوري
لحلمك» ... ثم أصبحوا، لا مدينة في
المدينة. لا «هنا» إلا «هناك». ولا
هناك سوى هنا. لولا السراب
لما مشيت إلى تلال سبعة...
لولا السراب!

19

الأربعاء، الجمعة، السبت

الأربعاء/

الجمعة/

السبت/

الأساطير، البلاد، تشائِهت ...

لو كان لي قلبان لم أندم على

حب، فإن أخطأت قلت: أسأت

يا قلبي الجريح الاختيار! ... وقادني

القلب الصحيح إلى الناييع/

الخميس

السوسن/

الاثنين/

أَسْمَاءُ الْمَكَانِ تَشَابَهَتْ. أَزْهَقْتُ أُغْنِيَنِي
 بِوَصْفِ الظِّلِّ. وَالْمَعْنَى يَرَى قَلْبَ
 الظَّلامِ وَلَا يُرَى. قَالَ الْكَلَامُ كَلَامَهُ،
 فَبَكَتْ إِلَهَاتُ كَثِيرَاتٍ عَلَى أَدْوَارِهِنَّ /

أَلْحِكْمَةُ /

الْأَخَذُ /

الْعُدُ /

الطُّرُقُ، الثَّلَاثَاءُ، السَّمَاءُ، تَشَابَهَتْ ...
 لَوْ كَانَ لِي دَرَبَانٌ لَانْخَرْتُ الْبَدِيلَ
 الثَّالِثَ. انْكَشَفَ الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ،
 انْكَشَفَ الطَّرِيقُ الْآخِرُ،
 انْكَشَفَتْ دُرُوبُ الْهَائِيَةِ

زيتونتان

زيتونتان عتيقتان على شمال الشرقي،
في الأولى الحتبات لأخدع الراوي
وفي الأخرى خبأت شقائق النعمان

إن شئت أن أنسى ... تذكّرتُ
آمتلأت بحاضري، واحترتُ يومَ
ولادتي ... لأرتب النسيان

تَشَعَّبُ الذكرى. هُنا قَمَرٌ يُعَدُّ
وليمةً لغيابه. وهناك بئرٌ في
جنوبي الحديقة زفّت امرأةً إلى شيطان

كُلُّ الملائكة الذين أُحِبُّهُمْ
أخذوا الربيع من المكان، صباح
أمس، وأورثوني قِمة البركان

أنا آدمُ الثاني. تَعَلَّمْتُ القراءةَ
والكتابةَ من دروس خطيَّتي،
وغدي سيبدأ من هنا، والآنُ

إنْ شئتُ أنْ أنسى... تذكَّرْتُ
انتقيتُ بدايةً، وولدتُ كيف أردتُ
لا بطلاً... ولا قُرْباناً

تَشَعَّبُ الذكرى وتلعَّبُ. ها هنا
زيتونتان عتيقتان على شمال الشرق
في الأولى وَجَدْتُ بُدُورَ أغنيتي

وفي الأخرى وَجَدْتُ رسالةً
من قائد الرومان:

يا إخوة الزيتون
أطلبُ منكمُ الغفران،
أطلبُ منكمُ الغفران...

مطالعة الكتب الكريمة
بمكتب المكتبة

لا ينظرون وراءهم

لا ينظرون وراءهم ليودّعوا منفى،
 فإنّ أمامهم منفى، لقد ألقوا الطريق
 الدائري، فلا أمام ولا وراء، ولا
 شمال ولا جنوب. «يهاجرون» من
 السياج إلى الحديقة. يتركون وصيّة
 في كل مثير من فناء البيت:
 «لا تتذكّروا من بعدنا
 إلّا الحياة» ...

«يسافرون» من الصباح السندسي إلى
 غبار في الظهيرة، حاملين نغوشهم ملأى
 بأشياء الغياب: بطاقة شخصية، رسالة
 لحبيبة مَجْهُولَةِ العُنوان:

«لا تتذكّرني من بعدنا

إلاّ الحياة»

و«يرحلون» من البيوت إلى الشوارع،

راسمين إشارة النصر الجريئة، قائلين

لمن يراهم:

«لم نزلُ نحيا، فلا تتذكّرونا!»

يخرجون من الحكاية للتنفّس والتشوّس.

يحلمون بفكرة الطّيّبان أعلى... ثم أعلى.

يصعدون ويهبطون. ويذهبون ويرجعون.

ويقفزون من السيراميك القديم إلى النجوم.

ويرجعون إلى الحكاية ... لا نهاية للبداية.

يهربون من النّعاس إلى ملاك النوم،

أبيض، أحمر العينين من أثر التأمل

في الدم المسفوك:

«لا تتذكروا من بعدنا

إلاّ الحياة» ...

لم يسألوا: ماذا وراء الموت

لم يسألوا: ماذا وراء الموت؟ كانوا
يَحْفَظُونَ خَرِيطةَ الْفَرْدوسِ أَكْثَرَ مِنْ
كِتَابِ الْأَرْضِ، يُشْغِلُهُمْ سُؤَالُ آخَرٍ:
ماذا سنفعل قبل هذا الموت؟ قرب
حياتنا نحيا، ولا نحيا. كأنَّ حياتنا
جِصَصٌ مِنَ الصَّحراءِ مُخْتَلَفٌ عَلَيْهَا يَبْنِي
آلهةَ الْعِقَارِ، وَنَحْنُ جِيرَانُ الْغَبَارِ الْغَابِرُونَ.
حياتنا عبءٌ على لَيْلِ الْمُؤَرَّخِ: «كُلَّمَا
أَخْفَيْتُهُمْ طَلَعُوا عَلَيَّ مِنَ الْغِيَابِ»...
حياتنا عبءٌ على الرَّسَّامِ: «أَرَسُمُهُمْ،
فَأَصْبَحَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَيَحْجِبُنِي الضُّبَابُ».
حياتنا عبءٌ على الْجَنَرَالِ: «كَيْفَ يَسِيلُ

من شَيْحِ دَمٍ؟ وحياتنا
 هي أَنْ نَكُونَ كما نريد. نريد أَنْ
 نحيا قليلاً، لا لشيء... بل لِتُحْتَرَمَ
 الْقِيَامَةُ بعد هذا الموت. واقتبسوا،
 بلا قَصْدٍ كَلَامَ الفيلسوف: «الموت
 لا يعني لنا شيئاً. نَكُونُ فلا يَكُونُ.
 الموت لا يعني لنا شيئاً. يَكُونُ فلا
 نَكُونُ»
 وَرَبُّوا أَحْلَامَهُمْ
 بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى. وَنَامُوا وَاقِفِينَ!

قتلى ومجهولون

قتلى، ومجهولون. لا نسيانَ يجمعُهُمْ
ولا ذكرى تفرّقُهُمْ ... ومنسيّون في
غُشْبِ الشتاءِ على الطريقِ العامِّ بين
حكّائين طويّلتين عن البُطُولَةِ والعذابِ.
«أنا الضحيّة». «لا. أنا وحدي
الضحية». لم يقولوا للمؤلف: «لا
ضحية تقتل الأخرى. هنالك في
الحكاية قاتل وضحيّة». كانوا صغاراً
يقطفون الثلج عن سُرِّ المسيح،
ويلعبون مع الملائكة الصغار، فإنَّهُمْ
أبناء جيلٍ واحدٍ يتسرّبون من
المدارس هاربين من الرياضيّات والشعرِ

الحماسي القديم، ويلعبون مع الجنود،
 على الحواجز، لُعبة الموت البريئة.
 لم يقولوا للجنود: دعوا البنادق
 وافتحوا الطرقات كي تجذ الفراشة
 أمها قرب الصباح، وكي نطير مع
 الفراشة خارج الأحلام، فالأحلام
 ضيقة على أبوابنا. كانوا صغاراً
 يلعبون، ويصنعون حكاية للوردة
 الحمراء تحت الثلج، خلف حكايتين
 طويتين عن البطولة والعذاب، ويهربون
 مع الملائكة الصغار إلى سماء صافية.

السروة انكسرت

السروة شجن الشجرة وليس
الشجرة، ولا غل لها لأنها غل الشجرة،
يسام حجار

السروة اَنكسَرت كمثذنية، ونامت في
الطريق على تَقَشُّف ظلِّها، خضرَاء، داكنة،
كما هي. لم يُضَبَّ أحدٌ بسوء. مرّت
الغربابُ مُشرِّعةً على أغصانها. هبَّ الغبارُ
على الزجاج ... / السروة انكسرت، ولكنَّ
الحمامة لم تغيّر عُشِّها العلني في دارٍ
مُجاورة. وحلّق طائران مهاجران على
كفّاف مكانها، وتبادلا بعض الرموز.
وقالت امرأة لجارتها: تَرى، شاهدتِ عاصفة؟

فَقَالَتْ: لا، ولا جِزَافَةً... / والسُرُوءُ
 انْكَسَرَتْ. وقال العابرون على الخطام:
 لَعَلَّهَا سَيِّمَتْ مِنَ الإِهْمَالِ، أَوْ هَرِمَتْ
 مِنَ الْإِيَّامِ، فَهِيَ طَوِيلَةٌ كَزُرَافَةٍ، وَقَلِيلَةٌ
 الْمَعْنَى كَمَكْنَسَةِ الْغُبَارِ، وَلَا تُظَلِّلُ عَائِشَتَيْنِ.
 وقال طفلٌ: كُنْتُ أَرْسُمُهَا بِلَا عِطَاءٍ،
 فَإِنَّ قَوَائِمَهَا سَهْلٌ. وقالت طفلةٌ: إِنَّ
 السَّمَاءَ الْيَوْمَ نَاقِصَةٌ لِأَنَّ السُّرُوءَ انْكَسَرَتْ.
 وقال فتى: وَلَكِنَّ السَّمَاءَ الْيَوْمَ كَامِلَةٌ
 لِأَنَّ السُّرُوءَ انْكَسَرَتْ. وَقُلْتُ أَنَا
 لِنَفْسِي: لَا غُمُوضَ وَلَا وُضُوحَ،
 السُّرُوءُ انْكَسَرَتْ، وَهَذَا كُلُّ مَا فِي
 الْأَمْرِ: إِنَّ السُّرُوءَ انْكَسَرَتْ!

25

رجل وخشف في الحديقة

[إلى سليمان العجّاب]

رَجُلٌ وَخَشَفَ فِي الْحَدِيقَةِ يَلْعَبَانِ مَعاً...
 أَقُولُ لَصَاحِبِي: مِنْ أَيْنَ جَاءَ آيُنُ الْغَزَالِ؟
 يَقُولُ: جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ. لَعَلَّهُ «يَحْتَى»
 رُزِقْتُ بِهِ لِيُؤْنِسَ وَحْشَتِي. لَا أُمُّ
 تُرَضِعُهُ فَكُنْتُ الْأُمُّ، أَسْقِيهِ حَلِيبَ
 الشَّاةِ مَمْرُوجاً بَمَلْعَقَةٍ مِنَ الْعَصَلِ
 الْمُعْطَرِّ. ثُمَّ أَحْمَلُهُ كَغِيَمَةٍ عَاشِقٍ فِي
 غَايَةِ الْبَلُوطِ...
 قُلْتُ لَصَاحِبِي: هَلْ صَارَ دَالْفُ يَتَنَكَّ
 الْمَاهُولَ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَدْوَاتِ؟
 قَالَ: وَصَارَ يَرْقُدُ فِي سِرِّي حِينَ يَمْرُضُ...

ثُمَّ قَالَ: وَصِرْتُ أَمْرَضُ حِينَ يَمْرُضُ.
صِرْتُ أَهْذِي: «أَيُّهَا الْوَلَدُ الْيَتِيمُ!
أَنَا أَبُوكَ وَأُمُّكَ، انْهَضْ كَيْ تَعْلَمَنِي
السَّكِينَةَ»/

بعد شهرٍ زُرْتُهُ فِي بَيْتِهِ الرَّيفِيِّ.
كَانَ كَلَامُهُ يَبْكِي. لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَبْكِي مُلْتَمِعًا
الْقَوِيَّ، يَقُولُ لِي مُتَهَدِّجَ الصَّوْتِ: «أَبْنُ
الْغَزَالِ، ابْنُ الْغَزَالَةِ مَاتَ بَيْنَ يَدَيَّ.
لَمْ يَأْلَفْ حَيَاةَ الْبَيْتِ. لَكِنْ لَمْ يَمُتْ
مِثْلِي وَمِثْلَكَ...»

لَمْ أَقُلْ شَيْئًا لِصَاحِبِي الْحَزِينِ. وَلَمْ
يُودِّعْنِي، كَعَادَتِهِ، بِأَيَّامٍ مِنَ الشَّعْرِ
الْقَدِيمِ. مَشَى إِلَى قَبْرِ الْغَزَالِ الْأَبْيَضِ.
أَحْتَضَنَ التُّرَابَ وَأَجْهَشَ: «انْهَضْ
كَيْ يَنَامَ أَبُوكَ، يَا ابْنِي، فِي سَرِيرِكَ.

ها هنا أجدُ السكينةُ/

نام في قبر الغزال، وصار لي
ماضي صغير في المكان:
رَجُلٌ ونَحْشٌ في الحديقة يرقدان!

مكتبة المركز
بمكة المكرمة
٢٠١٧

هذا هو النسيان

هذا هو النسيانُ حَوْلَكَ: يافطأتُ
 تُوقِظُ الماضي، تحثُّ على التذكُّر. تكبح
 الزَّمنَ السريعَ على إشارات المرور،
 وتُغْلِقُ السَّاحَابَ/

تمثالٌ رُخَامِيٌّ هو النسيانُ. تمثالٌ
 يُحْمِلُكَ فِيكَ: قِفْ مثلي لتشبهني.
 وَضَعْ ورداً على قدمي/

أُغْنِيَةُ مُكَرَّرَةٌ هو النسيانُ. أُغْنِيَةُ
 تطاردُ رَبَّةَ البيتِ احتفاءً بالمناسبة
 السعيدة، في السرير وغرفة الفيديو،

وفي صالونها الخاوي، ومطبخها/

وأنصاب هو النسيان. أنصاب على
الطرقات تأخذ هيئة الشجر البرونزي
المرصع بالمدائح والصقور/

ومتحف خالٍ من الغد، بارد،
يروى الفصول المنتقاة من البداية
هذا هو النسيان: أن تتذكر الماضي
ولا تتذكر الغد في الحكاية

تُنْسَى، كأنك لم تكن

تُنْسَى، كأنك لم تكن
 تُنْسَى كمصرع طائر
 ككنيسة مهجورة تُنْسَى،
 كحب عابر
 وكوردة في الليل ... تُنْسَى



أنا للطريق ... هناك من سَبَقَتْ لُحْطَاهُ لُحْطَايَ
 مَنْ أَمْلَى رُؤَاةً عَلَى رُؤَايَ. هُنَاكَ مَنْ
 نَزَرَ الْكَلَامَ عَلَى سَجِيئِهِ لِيَدْخُلَ فِي الْحِكَايَةِ
 أَوْ يَضِيءَ لِمَنْ سَيَأْتِي بَعْدَهُ
 أَثَرًا غَنَائِيًا ... وَحَدْسًا



تُنسى، كأنك لم تكن
شخصاً، ولا نصاً ... وتُنسى



أمشي على هُدي البصيرة، رُبما
أعطي الحكاية سيرة شخصية. فالمفردات
تسوشني وأسوشها. أنا شكلها
وهي التجلي الحُر. لكن قيل ما سأقول.
يسبقني غدّ ماضٍ. أنا ملكُ الصدى.
لا عَرضَ لي إلاّ الهوامش. والطريق
هو الطريقة. رُبما نسي الأوائِلُ وَصَفَ
شيء ما، أحرّك فيه ذاكرةً وحسّاً



تُنسى، كأنك لم تكن
خبيراً، ولا أثراً ... وتُنسى



أنا للطريق ... هناك مَنْ تمشي خُطاهُ
على خُطائي، وَمَنْ سيتبعني إلى رؤيائي.
مَنْ سيقول شعراً في مديح حداثتي المنفى،
أمام البيت، حرّاً من عبادة أُمس،
حرّاً من كُنْياتي ومن لغتي، فأشهد
أَنني حيٌّ
وَحُرٌّ
حين أُتسى!

مكتبة الدكتور محمد العلي

أما أنا، فأقول لاسمي

أما أنا، فأقول لاسمي: دَعَكَ مِنِّي
وابتعد عني، فإني ضقت منذ نطقْتُ
وَأَتَسَعْتُ صفاتك! خذ صفاتك وامتحنْ
غيري ... حملتك حين كنا قادرين على
عبور النهر مُتحدِّين «أنت أنا»، ولم
أُختَرِكَ يا ظلي السلوقي الوفي، اختارك
الآباء كي يتفاءلوا بالبحث عن معنى.
ولم يتساءلوا عفا سيحدثُ للمستعنى عندما
يقسو عليه الاسم، أو يُثَلِّي عليه
كلامه فيصير تابعه ... فأين أنا؟
وأين حكايتي الصُّغرى وأوجاعي الصغيرة؟
تجلس امرأة مع اسمي دون أن

تصغي لصوت أُخْوَة الحيوان
 والإنسان في جسدي، وتروي لي
 حكاية حبها، فأقول: إن أعطيتني يدك
 الصغيرة صيرتُ مثلَ حديقة .. فتقول:
 لستُ هوَ الذي أعنيه، لكنني أريد
 نصيحةً شعريةً. ويحملُ الطلاب في
 اسمي غير مكترئين بي، وأنا أمرّ
 كأنني شخص فضوليّ. وينظر قارئ
 في اسمي، فيبدي رأيه فيه: أحب
 مسيحه الحافي، وأما شعره الذاتي في
 وصّف الضباب، فلا! ... ويسألني:
 لماذا كنت ترمقني بطرف ساخر. فأقول:
 كنت أحاور اسمي: هل أنا صفة؟
 فيسألني: وما شأني أنا؟/

أنا أنا، فأقول لاسمي: أَعْطِنِي
ما ضاع من حُرِّيَّتِي!

مكتبة المركز
بمكة المكرمة
الرياض

الحلم، ما هو؟

الحلم، ما هو؟
 ما هو اللاشيء هذا
 عابر الزمن،
 أبهى كنجم في أول الحب،
 أشهى كصورة امرأة
 تدلك نهدا بالشمس؟
 ما هو، لا أكاد أراه حتى
 يختفي في الأمس/
 لا هو واقع لأعيش وطأته وخففته
 ولا هو عكسه لأطير محراً
 في فضاء الخدس/
 ما هو، ما هو اللاشيء، هذا الهش

هذا اللانهائي، الضعيف، الباطني
 الزائر، المتطاول، المتناثر،
 المتجدد المتعدد الأ شكل؟
 ما هو؟ لا يُجس ولا يُمس /
 ولا يمد يداً إلى المُتلَهِّفين الحائرين
 فما هو السريّ هذا،
 الحائر، الحذر، المحير
 حين أنتظر الزيارة مطمئن النفس /
 يكسرني ويخرج مثل لؤلؤة
 تُدَخِّرُ ضوءها،
 ويقول لي: لا تنتظرنني
 إن أردت زيارتي
 لا تنتظرنني!

الآن، إذ تصحو، تذكر

الآن، إذ تصحو، تذكُر رَقَصَةَ البَجَعِ
 الأخيرة. هل رَقَصْتَ مَعَ الملائكة الصغارِ
 وأنت تحلُم؟ هل أضاءتكَ الفراشةُ عندما
 احترقت بضوء الوردَةِ الأبدِيّ؟ هل
 ظهرتُ لك العنقاءُ واضحةً ... وهل نادتكِ
 باسمكِ؟ هل رأيتِ الفجرَ يطلع من
 أصابع مَنْ تُحِبُّ؟ وهل كَمَسَتْ الحُلُمَ
 باليد، أَمْ تَرَكَتِ الحُلُمَ يحلُمُ ولحده،
 حين انتبهتِ إلى غيابكِ بَغْتَةً؟
 ما هكذا يُخلِي المنامُ الحالمونَ،
 فإنهم يتوهجون،
 ويكملون حياتهم في الحُلُم ...

قل لي: كيف كنت تعيش لحلمك
في مكانٍ ما، أقلُّ لك من تكون

والآن، إذ تصحو، تذكرُ:
هل أسأت إلى منامك؟
إن أسأت، إذا تذكرُ
رقصةً البجع الأخيرة!

الظل

الظل، لا ذَكَرٌ ولا أُتَى
 رمادي، ولو أَشْعَلْتُ فيه النارَ ...
 يتبعني، وهكبرُ ثُمَّ يصغرُ
 كُنْتُ أَمْشِي. كان يَمْشِي
 كنتُ أَجْلِسُ. كان يَجْلِسُ
 كنتُ أَرْكُضُ. كان يَرْكُضُ
 قلتُ: أَخْذَعُهُ وَأَخْلَعُ معطفي الكُحْلِي
 قُلْدَنِي، وَأَلْقِي عنه معطفهُ الرمادي ...
 اسْتَدْرَجْتُ إلى الطريق الجَانِبِيَّةِ
 فاستدار إلى الطريق الجَانِبِيَّةِ.
 قُلْتُ: أَخْذَعُهُ وَأَخْرُجُ من غروب مدينتي
 فَرَأَيْتُهُ يَمْشِي أمامي

في غروب مدينةٍ أخرى ...
 فقلت: أعود مُتَّكِئاً على عُكَّازَتَيْنِ
 فعاد متكئاً على عكازَتَيْنِ
 فقلت: أحمله على كتفي،
 فاستعصى ...
 فقلت: إذن، سأتيه لأُخدعه
 سأتيه بِبَغَاءِ الشَّكْلِ سُخْرِيَّةً
 أَقْلِدُ مَا يُقْلِدُنِي
 لكي يَقَعَ الشَّيْبَةُ عَلَى الشَّيْبِ
 فلا أراه، ولا يراني.

لا شيء يعجبني

«لا شيء يُعجبني»

يقول مسافرٌ في الباص - لا الراديو
ولا صُحُفُ الصباح، ولا القلاعُ على التلال.
أريد أن أبكي /

يقول السائق: انتظرِ الوصولَ إلى المحطة،
وابكِ وحدك ما استطعت /

تقول سيّدة: أنا أيضاً. أنا لا
شيء يُعجبني. ذلّلتُ أبني على قبري،
فأعجبتُه ونام، ولم يُودّعني /

يقول الجامعي: ولا أنا، لا شيء
يعجبني. دَرَسْتُ الأركيولوجيا دون أن
أجدَ الهويّةَ في الحجارَة. هل أنا

حقاً أنا؟/

ويقول جنديّ: أنا أيضاً. أنا لا
شيء يُعجبني. أحاصِرُ دائماً شَبَحاً

يُحاصِرُنِي/

يقول السائقُ العصبيّ: ها نحن
اقتربنا من محطاتنا الأخيرة، فاستعدوا
للتنزل .../

فيصرخون: نريدُ ما بَعْدَ المحطّة،
فانطلق!

أما أنا فأقول: أُنزِلُنِي هنا. أنا
مثلهم لا شيء يعجبني، ولكنني تعبْتُ
من السّفَر.

هو هاديء، وأنا كذلك

هُوَ هَادِيءٌ، وَأَنَا كَذَلِكَ
 يَخْتَسِي شَايَا بَلِيمُونَ،
 وَأَشْرَبُ قَهْرَةً،
 هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الْمَغَايِرُ يَنْتَنَّا.
 هُوَ يَرْتَدِي، مِثْلِي، قَمِيصًا وَاسِعًا وَمُحْطَطًا
 وَأَنَا أَطَالُغُ، مِثْلَهُ، صُحُفَ الْمَسَاءِ.
 هُوَ لَا يَرَانِي حِينَ أَنْظُرُ خِلْسَةً،
 أَنَا لَا أَرَاهُ حِينَ يَنْظُرُ خِلْسَةً،
 هُوَ هَادِيءٌ، وَأَنَا كَذَلِكَ.
 يَسْأَلُ الْجَرَسُونَ شَيْئًا،
 أَسْأَلُ الْجَرَسُونَ شَيْئًا...
 قِطْعَةً سَوْدَاءَ تَعْبُرُ يَنْتَنَّا،
 فَأَجَسَ فَرْوَةً لَيْلَهَا

ويجسّ قَزَوَةَ ليلها ...
 أنا لا أقول لهُ: السماء اليوم صافية
 وأكثر زرقَةً.
 هو لا يقول لي: السماء اليوم صافية.
 هو المرثي والرائي
 أنا المرثي والرائي.
 أحركُ رجُلِي البشري
 يحرك رجُلَهُ اليُمْنِي.
 أدندنُ لَحْنُ أُغْنِيَةٍ،
 يدندن لَحْنُ أُغْنِيَةٍ مُشَابِهَةٍ.
 أفكّرُ: هل هو المرأة أبصر فيه نفسي؟
 ثم أنظر نحو عينيهِ،
 ولكن لا أراه ...
 فأتركُ المقهى على عَجَلٍ.
 أفكّرُ: رُبَّمَا هو قاتلٌ، أو رُبَّمَا
 هو عابرٌ قد ظنَّ أَنِي قاتلٌ
 هو خائفٌ، وأنا كذلك!

34

وصف الغيوم

الوصف الغيوم:
على أن أسرع كثيراً
ليبعد هيبه لن تكون ما هي
عليه، ستسير أخرى،
شيمورسكا

وَصُفُّ الغيوم مَهَارَةً لَمْ أُوتِهَا ...
أَمْشِي عَلَى جَبَلٍ وَأَنْظُرُ مِنْ عَلِيٍّ
نَحْوِ الغيوم، وَقَدْ تَدَلَّتْ مِنْ مَدَارِ اللَّازُورِ
خَفِيفَةً وَشَفِيفَةً،
كَالْقَطَنِ تَحُلِجُهُ الرِّيحُ،
كَفِكْرَةٍ يَبْضَاءُ عَنْ مَعْنَى الوجودِ،
لَعَلَّ آلِهَةَ تَنْقُحُ قِصَّةَ التَّكْوِينِ
«لَا شَكْلَ نِهَائِي لِهَذَا الْكونِ...»

لا تاريخ للأشكال...
 أنظروا من علي، وأرى انبثاق الشكل
 من غيبوبة الأشكال:
 ريش الطير ينبت في قرون الأثل البيضاء،
 وجه الكائن البشري يطلع من
 جناح الطائر المائي ...
 ترسمنا الغيوم على وتيرتها
 وتختلط الوجوه مع الرؤى
 لم يكتمل شيء ولا أحد، فيعد هنيهة
 ستصير صورتك الجديدة صورة النمر
 الجريح بصولجان الريح ...
 رسامون مجهولون ما زالوا أمامك
 يلعبون، ويرسمون المطلق الأبدي،
 أبيض، كالغيوم على جدار الكون ...
 والشعراء ينون المنازل بالغيوم
 ويذهبون...

لِكُلِّ حَسٍّ صُورَةٌ،
وَلِكُلِّ وَقْتٍ غَيْمَةٌ،
لَكِنْ أَعْمَارَ الْغُيُومِ قَصِيرَةٌ فِي الرِّيحِ،
كَالْأَبَدِ الْمُؤَقَّتِ فِي الْقَصَائِدِ،
لَا يَزُولُ وَلَا يَدُومُ ...

مَنْ حُسِّنَ حَظِّي أَنَّنِي أَمْشِي عَلَى جِبْتَيْ
وَأَنْظُرُ مِنْ عَلَيَّ
نَحْوِ الْغُيُومِ ...

مطبخك الكوكبة المكنة

35

هي جملة اسمية

هي جُمْلَةٌ إِسْمِيَّةٌ، لَا فِعْلٌ
 فِيهَا أَوْ لَهَا: لِلْبَحْرِ رَائِحَةُ الْأُسْبُرَةِ
 بَعْدَ فِعْلِ الْحُبِّ ... عَطَّرَ مَالِحٌ أَوْ
 حَامِضٌ. هِيَ جُمْلَةٌ إِسْمِيَّةٌ: فَرَحِي
 جَرِيحٌ كَالْغُرُوبِ عَلَى شَبَابِيكَ الْغَرِيْبَةِ.
 زَهْرَتِي خَضِرَاءُ كَالْعَنْقَاءِ. قَلْبِي فَائِضٌ
 عَنْ حَاجَتِي، مَتَرَدِّدٌ مَا بَيْنَ بَاتَيْنِ:
 الدَّخُولُ هُوَ الْفُكَاهَةُ، وَالْخُرُوجُ هُوَ
 الْمَتَاَهَةُ. أَيْنَ ظِلِّي - مَرَشْدِي وَسَطِ
 الزَّحَامِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْقِيَامَةِ؟ لَيْتَنِي
 حَجَرٌ قَدِيمٌ دَاكُنُ اللَّوْنَيْنِ فِي سَوْرِ الْمَدِينَةِ،
 كَسْتَنَائِي وَأَسْوَدُ، طَاعِنٌ فِي اللَّاشْعُورِ

تجاه زوّاري وتأويل الظلال. وليت
 للفعل المضارع موطئاً للسير خلفي
 أو أمامي، حافّي القدمين. أين
 طريقي الثاني إلى درج المدى؟ أين
 الشدى؟ أين الطريق إلى الطريق؟
 وأين نحن، السائرين على خطى الفعل
 المضارع، أين نحن؟ كلاً منا خبير
 ومبتدأ أمام البحر، والزبد المراع
 في الكلام هو النقاط على الحروف،
 فليت للفعل المضارع موطئاً فوق
 الرصيف ...

36

قل ما تشاء

قُلْ ما تشاء. ضَعِ النقاطَ على الحروف.
 ضَعِ الحروفَ مع الحروف لثَوَلَدَ الكلمات،
 غامضةً وواضحةً، وبينديء الكلام.
 ضَعِ الكلامَ على المجاز. ضَعِ المجازَ على
 الخيال. ضَعِ الخيالَ على تَلَفَّتِهِ البعيد.
 ضَعِ البعيدَ على البعيد ... سَيُثَوَلَدُ الإيقاعُ
 عند تَشَابُهٍ الصُّوَرِ الغريبةِ من لقاء
 الواقعي مع الخيالي الشُّشَاكِسِ/
 هل كَتَبْتَ قصيدة؟

كلا!

لعلَّ هناك ملحاً زائداً أو ناقصاً
 في المفردات. لعلَّ حادثةً أَخَلَّتْ بالتوازن

في مُعَادَلَةِ الظلال. لعلَّ نسراً
 مات في أعلى الجبال. لعلَّ أرضَ
 الرمز خفَّت في الكناية فاستباحتها
 الرياح. لعلَّها ثَقُلَتْ على ريش الخيال.
 لعلَّ قلبك لم يفكِّر جيداً، ولعلَّ
 وفكرك لم يُجسِّس بما يربُّجك. فالقصيدة،
 زوجة الغد وأبنة الماضي، تخيم في
 مكانٍ غامضٍ بين الكتابة والكلام /
 فهل كتبت قصيدة؟
 كلا!

إذن، ماذا كتبت؟
 كتبت درساً جامعياً،
 واعتزلت الشعر منذ عرفتُ
 كيمياء القصيدة ... واعتزلت!

37

لا تكتب التاريخ شعراً

لا تكتب التاريخ شعراً، فالسلاح هو
 المؤرّخ. والمؤرخ لا يُصاب برعشة
 الحمى إذا سمى ضحاياه ولا يُضغى
 إلى سرديّة الجيتار. والتاريخ يوميات
 أسلحة مُدوّنة على أجسادنا. وإنّ
 الذكيّ العبقريّ هو القويّ». وليس
 للتاريخ عاطفةٌ لِنشعرَ بالحنين إلى
 بدايتنا، ولا قسّةٌ لنعرف ما الأمام
 وما الوراء ... ولا استراحاتٌ على
 سبك الحديد لندفن الموتى، وننظرَ
 صوبَ ما فعلَ الزمانُ بنا هناك، وما
 فعلنا بالزمان. كأننا منه وخارجُه.

فلا هو منطقيّ أو بديهيّ لنكسر
 ما تَبَقِيَ من خرافتنا عن الزمن السعيد،
 ولا خرافتي لترضّي بالإقامة عند أبواب
 القيامة. إنّه فينا وخارجنا.. وتكرار
 جُنُونِي، من الجفلاخ حتى الصاعق التّوّري.
 يصنّعنا ونصنعه بلا هدَف ... هل
 التاريخ لم يُولَد كما شئنا، لأن
 الكائن البشريّ لم يُوجد؟
 فلا سِفَة وفَتَانُون مَرُّوا من هناك ...
 ودَوّن الشعراء يوميات أزهار البنفسج
 ثم مروا من هناك... وصدّق الفقراء
 أخباراً عن الفردوس وانتظروا هناك ...
 وجاء آلهة لإنقاذ الطبيعة من أُلوهيِّنا
 ومَرُّوا من هناك. وليس للتاريخ
 وَقْتُ للتأمل، ليس للتاريخ مرآة

وَرَجَّةٌ سَافِرٌ، هُوَ وَاقِعٌ لَا وَاقِعِي
أَوْ خِيَالٌ لَا خِيَالِي، فَلَا تَكْتُبِهِ.
لَا تَكْتُبِهِ، لَا تَكْتُبِهِ شِعْرًا!

مطالعتكم الكريمة المحترمة
والعذرة الموقرة

ماذا سيبقى؟

ماذا سَيَبْقَى من هِبات الغيمة البيضاء؟
- زَهْرَةٌ تَيْلَسَانُ

ماذا سيبقى من رَذَاذ الموجة الزرقاء؟
- إِيْقَاعُ الزَّمَانِ

ماذا سيبقى من تزييف الفكرة الخضراء؟
- مَاءٌ فِي عُرُوقِ السَّنْدِيَانِ

ماذا سيبقى من دُمُوعِ الحُبِّ؟
- وَشْمٌ نَاعِمٌ فِي الْأَرْجَوَانِ

ماذا سيبقى من عُبار البحث عن معنى؟
- طَرِيقُ الْعَنْفَوَانِ

ماذا سيبقى من طريقي الرحلة الكبرى
إلى المجهول؟

- أُغْنِيَةُ المُسَافِرِ لِلْحَصَانِ
- ماذا سيبقى من سراب الحلم؟
- آثَارُ السَّمَاءِ عَلَى الْكَفَانِ
- ماذا سيبقى من لقاء الشيء باللاشيء؟
- إِحْسَاسُ الْأُلُوْهَةِ بِالْأَمَانِ
- ماذا سيبقى من كلام الشاعر العربي؟
- هَاوِيَةٌ ... وَخَيْطٌ مِنْ دُخَانٍ
- ماذا سيبقى من كلامك أُنْتُ؟
- نَسْيَانٌ ضَرْوْرِيٌّ لِذَاكِرَةِ الْمَكَانِ!

لا أعرف اسمك

- لا أعرف اسمك
- سَمَّني ما شئتَ
- لَمَسْتُ غزالةً
- كلا. ولا فَرْساً
- وَلَسْتُ حَمَامَةً المنفَى
- ولا حُورِيَّةً
- مَنْ أَنْتَ؟ ما اسْمُكَ؟
- سَمَّني، لأكونَ ما سَمَّيْتَنِي
- لا أَسْتَطِيعُ، لأنَّني رِيحٌ
- وَأَنْتَ غَرِيبةٌ مثلي، وللأَسْمَاءِ أَرْضٌ ما
- إِذْنُ، أَنَا «لا أَخَذُ»

□ لا أعرف اسمك، ما اسمك؟

- اختاري من الأسماء أَقْرَبَها

إلى النسيان. سَمِّيني أَكُنْ في

أهل هذا الليل ما سَمَّيْتَنِي!

□ لا أَسْتَطِيعُ لأنني امرأةٌ مسافرةٌ

على ريج. وأنت مسافر مثلي،

وللأسماء عائلةٌ وَيَتُّ واضحٌ

- فإذاً، أنا «لا شيء» ...

قالت «لا أأخذ»:

سَأَعْتِي اسمك شَهْوَةً. جَسَدِي

يَلْتَمِسُكَ من جهاتك كُلِّها. جَسَدِي

يَضُمُّكَ من جهاتي كُلِّها، لتكون شيئاً ما

ونمضي باجْتِنَاءٍ عن الحياة...

فقال «لا شيء»: أَلْحَيَاةُ جميلةٌ

مَعَكَ ... أَلْحَيَاةُ جميلةٌ!

هي في المساء

هي في المساء وحيدة،
وأنا وحيدٌ مثلها...
بيني وبين شموعها في المطعم الشتوي
طاولتان فارغتان [لا شيء يعكّر صمتنا]
هي لا تراني، إذ أراها
حين تقطفُ وردةً من صدرها
وأنا كذلك لا أراها، إذ تراني
حين أرشفُ من نبذي قبلةً...
هي لا تُفتّتُ خبزها
وأنا كذلك لا أريقُ الماءَ
فوق الشُّرشف الورقي
[لا شيء يكدر صفونا]

هي وَحدها، وأنا أَمَامَ جَمَالِها
وَحدي. لماذا لا تُوحِدُنَا الهَشَاشَةُ؟

قلت في نفسي -

لماذا لا أَذوقُ نَبِيذَها؟

هي لا تراني، إذ أراها

حين ترفُغُ ساقَها عن ساقِها ...

وأنا كذلك لا أراها، إذ تراني

حين أَخْلَعُ معطفي ...

لا شيء يزعجها معي

لا شيء يزعجني، فنحن الآن

منسجمان في النسيان ...

كان عشاؤنا، كُلُّ على جِدَةٍ، شَهِيئاً

كان صَوْتُ الليل أزرَقَ

لم أكن وَحدي، ولا هي وَحدها

كنا معاً نصفي إلى البُلُورِ

[لا شيء يُكسِّرُ ليلنا]

هبي لا تقول:
الحبُّ يُولَدُ كائناً حتماً
ويُفْسِدُ فِكْرةً.
وأنا كذلك لا أقول:
الحبُّ أُمسى فِكْرةً
لكنه يبدو كذلك ...

مطبخين الكوكبة العنبر

في الانتظار

في الانتظار، يُصَيِّتِي هَوَسٌ برصد
 الاحتمالات الكثيرة: رُبَّمَا نَسِيتُ حَقِيقَتَهَا
 الصغيرة في القطار، فضاع عنواني
 وضاع الهاتفُ المحمولُ، فانقطعت شهيَّتها
 وقالت: لا نصيبَ له من المطر الخفيف/
 ورُبَّمَا اَنْشَعَلْتُ بأمرٍ طارىءٍ أو رحلةٍ
 نحو الجنوب لكي تزور الشمس، وانْصَلَّتْ
 ولكن لم تجِدْنِي في الصباح، فقد
 خَرَجْتُ لأشتري غاردينيا لمساتنا وزجاجتين
 من النبيذ/

وربما اختَلَقْتُ مع الزَّوْجِ القديم على
 شؤون الذكريات، فأَقْسَمْتُ ألا ترى

رجلاً يُهْدِّدُهَا بِصُنْعِ الذِّكْرِيَّاتِ /
 وَرُبَّمَا اصْطَلَمَتْ بِتَاكْسِي فِي الطَّرِيقِ
 إِلَيْ، فَاَنْطَفَأَتْ كَوَاكِبُ فِي مَجْرَتِهَا.
 وَمَا زَالَتْ تُعَالِجُ بِالْمِهْدَى وَالنَّعَاسِ /
 وَرَبَّمَا نَظَرَتْ إِلَى الْمَرَاةِ قَبْلَ خُرُوجِهَا
 مِنْ نَفْسِهَا، وَتَحَسَّسَتْ أَجْأَصَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ
 تُمَوِّجَانِ حَرِيرَها، فَتَنَهَّدَتْ وَتَرَدَّدَتْ:
 هَلْ يَسْتَحِقُّ أَنْوِثَتِي أَحَدٌ سِوَايَ /
 وَرَبَّمَا عَبَّرَتْ، مُضَادَفَةً، بِحُبِّ
 سَابِقٍ لَمْ تَشْفَ مِنْهُ، فَرَأَفَقَتْهُ إِلَى
 الْعِشَاءِ /
 وَرُبَّمَا مَاتَتْ،
 فَإِنَّ الْمَوْتَ يَعِشِقُ فُجَاءَةً، مِثْلِي،
 وَإِنَّ الْمَوْتَ، مِثْلِي، لَا يَحِبُّ الْإِنْتِظَارَ

لو كنتُ غيري

لو كُنتُ غيري في الطريق، لما التفتُ
إلى الوراء، لَقُلْتُ ما قال المسافرُ
للمسافرة الغريبة: يا غريبة! أيقظي
الجيتارَ أكثر! أرجئي عَدَدنا ليمتدَّ الطريقُ
بناءً، ويَتَسَّعَ الفضاءُ لنا، فتنجو من
حكايتنا معاً: كَمْ أَنْتِ أَنْتِ.. وكم أنا
غيري أمامك ها هنا!

لو كُنتُ غيري لانتيمتُ إلى الطريق،
فلن أعود ولن تعودِي. أيقظي الجيتار
كي نتحسَّسَ المجهولَ والجهةَ التي تُغوي
المسافرَ باختبار الجاذبية. ما أنا إلاَّ

خُطَايَ، وَأَنْتَ بَوصلتي وهاويتي معاً.
لو كُنْتُ غَيْرِي فِي الطَّرِيقِ، لَكُنْتُ
أَخْفَيْتُ الْعَوَاطِفَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَيْ
تَكُونَ قَصِيدَتِي مَائِيَّةً، شَفَافَةً، بِيضَاءً،
تَجْرِيدِيَّةً، وَخَفِيفَةً... أَقْوَى مِنَ الذِّكْرِ،
وَأَضْعَفَ مِنَ حُبِّيَّاتِ النَّدَى، وَلَقُلْتُ:
إِنَّ هَوِيَّتِي هَذَا الْمَدَى!

لو كُنْتُ غَيْرِي فِي الطَّرِيقِ، لَقُلْتُ
لِلجِيتَار: دَرِّبْنِي عَلَى وَتَرٍ إِضَافِيٍّ!
فَإِنَّ الْبَيْتَ أَبْعَدُ، وَالطَّرِيقَ إِلَيْهِ أَجْمَلُ -
هَكَذَا سَتَقُولُ أُغْنِيَّتِي الْجَدِيدَةُ - كُلَّمَا
طَالَ الطَّرِيقَ تَجَدَّدَ الْمَعْنَى، وَصَرْتُ أَتْنَيْنِ
فِي هَذَا الطَّرِيقِ: أَنَا ... وَغَيْرِي!

شكراً لتونس

شكراً لتونس. أَرْجَعْتُ سائماً من
 لُحْيَها، فبِكَيْتُ بَيْنَ نَسَائِها فِي الْمَسْرَحِ
 الْبَلَدِيِّ حِينَ تَمْلُصُ الْمَعْنَى مِنَ الْكَلِمَاتِ.
 كُنْتُ أَوْدُعُ الصَّيْفَ الْأَخِيرَ كَمَا يَوْدُعُ
 شَاعِرٌ أُغْنِيَةً غَزَلِيَّةً: ماذا سأكتبُ
 بعدها لَحَبِيبَةٍ أُخْرَى ... إِذَا أُحِبِّتُ؟
 فِي لُغَتِي دَوَاؤُ الْبَحْرِ. فِي لُغَتِي رَحِيلُ
 غَامِضٌ مِنْ صُورٍ. لَا قِرطَاجَ تَكْبِئُهُ، وَلَا
 رِيحَ الْبَرَابِرَةِ الْجَنُوبِيِّينَ. جِئْتُ عَلَى
 وَتِيرَةِ تَوْرَسٍ، وَنَصَبْتُ خِيَمَتِي الْجَدِيدَةَ
 فَوْقَ مُنْتَحَدِ سَمَاوِيٍّ. سَأَكْتُبُ هُنَا فِصْلاً
 جَدِيداً فِي مَدِيحِ الْبَحْرِ: أُسْطُورِيَّةٌ

لغتي، وقلبي مُوجَّهٌ زرقاءُ تمخَّدشُ
صخرة: «لا تُعطني، يا بحر، ما
لا أَسْتَحِقُّ من النشيد. ولا تكن
يا، بحر، أَكْثَرُ أو أَقَلُّ من النشيد!» ...
تَظِيرُ بي لُغْتي إلى مجهولنا الأبدِي،
خلف الحاضر المكسور من جَهَّتَيْنِ: إنَّ
تنظرَ وراءك تُوقِظُ سَدُومَ المكانِ على
خطيئته... وإن تنظرَ أَمَامَكَ توقِظُ
التاريخَ، فاحذِرْ لَدَغَةَ الجهتين... وابْهَني.
أقول لها: سَأَمَكْتُ عند تونس بين
مُتْرَلَتَيْنِ: لا بيتي هنا بيتي، ولا
منفائي كالمنفى. وها أَنذا أُودَّعُها،
فيجرحني هواءُ البحر... بِمَشْكُ الليلِ يجرحني،
ويعقُدُ الياسمينَ على كلامِ الناسِ يجرحني،
ويجرحني التأمُّلُ في الطريقِ اللولبيِّ إلى ضواحي
الأندلس...

لي مقعد في المسرح المهجور

لِي مَقْعَدٌ فِي الْمَسْرَحِ الْمَهْجُورِ فِي
 بِيروَت. قَدْ أَنْسَى، وَقَدْ أَتَذَكَّرُ
 الْفَصْلَ الْأَخِيرَ بِلا حَنِينٍ ... لَا لشيءٍ
 بَلْ لِأَنَّ الْمَسْرُوحِيَّةَ لَمْ تَكُنْ مَكْتُوبَةً
 بِمَهَارَةٍ ...

فوضي

كِيومِيَّاتِ حَرْبِ الْيَاسِينِ، وَسِيرَةٌ ذَائِقَةٌ
 لِعَرَائِزِ الْمُتَفَرِّجِينَ. مُمَثِّلُونَ يُعَزِّقُونَ نُصُوصَهُمْ
 وَيَفْتَشُونَ عَنِ الْمُؤَلِّفِ بَيْنَنَا، نَحْنُ الشُّهُودُ
 الْجَالِسِينَ عَلَى مَقَاعِدِنَا.
 أَقُولُ لِلجَارِيِ الْفَتَانِ: لَا تُشْهَرِ صَلَاحَكَ،
 وَانْتَظِرْ، إِلَّا إِذَا كُنْتُ الْمُؤَلِّفَ!

- لا

ويسألني: وهل أنت المؤلف؟

- لا.

ونجلس خائفين. أقول: كُنْ بَطْلًا

حياديًا لتنجو من مصير واضح

فيقول: لا بَطْلٌ يموت مُبَجَّلًا في المشهد

الثاني. سأنتظر البقية. ربما أُجرى

تعديلاً على أحد الفصول. وربما أصلحت

ما صَنَعَ الحديدُ ياخوتي

فأقول: أَنْتَ إِذَا؟

يردُّ: أَنَا وَأَنْتَ مُؤَلَّفَانِ مُقْتَنَعَانِ وشاهدان

مُقْتَنَعَانِ.

أقول: ما شَأْنِي؟ أَنَا مُتَفَرِّجٌ

فيقول: لا مُتَفَرِّجٌ في باب هاوية ... ولا

أَحَدٌ حياديٌّ هنا. وعليكَ أَنْ تختار

دورك في النهاية

فأقول: تنقصني البداية، ما البداية؟

في الشام

في الشام، أعرفُ مَنْ أنا وسط الزحام.
 يَدُلُّنِي قَمَرٌ تَلَالُأٌ فِي يَدِ امْرَأَةٍ... عَلَيَّ.
 يَدُلُّنِي حَجَرٌ تَوَضَّأَ فِي دُمُوعِ الياسمينِ
 ثم نام. يَدُلُّنِي بَرْدَى الْفَقِيرِ كَغِيْمَةٍ
 مكسورة. وَيَدُلُّنِي شِعْرٌ فُرُوسِيٌّ عَلَيَّ:
 هناك عند نهاية النفق الطويل مُحَاصِرٌ
 مثلي سَيُوقِدُ شَمْعَةً، مِنْ جِرْحِهِ، لِنَظَرِهِ
 يَنْفُضُ عَنْ عِبَائَتِهِ الظَّلَامَ. تَدُلُّنِي رَيْحَانَةٌ
 أُرِخَتْ جَدَائِلُهَا عَلَى الْمَوْتِ وَدَفَّاتِ الرِّخَامِ.
 «هنا يكون الموتُ حُبًّا نَائِمًا» وَيَدُلُّنِي
 الشعراءُ، مُحَذِّرِينَ كَانُوا أَمْ إِبَاحِيِّينَ،
 صُوقِيَّينَ كَانُوا أَمْ زَنَادِقَةً،

علي: إذا

أَخْتَلَفْتُ عَرَفْتُ نَفْسَكَ، فَاخْتَلَفْتُ تَجِدُ
 الْكَلَامَ عَلَى زَهْوَرِ اللَّوْزِ شَفَافًا، وَيُقَرِّثُكَ
 السَّمَاوِيُّ السَّلَامَ. أَنَا أَنَا فِي الشَّامِ،
 لَا شَبَّهِي وَلَا شَبَّحِي. أَنَا وَغَدِي يَدَا
 بِيَدِ نَزْرَفِرْفُ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ. فِي الشَّامِ
 أَمْشِي نَائِمًا، وَأَنَامُ فِي حِضْنِ الْغَزَالَةِ
 مَاشِيًا. لَا فَرْقَ بَيْنَ نَهَارِهَا وَاللَّيْلِ
 إِلَّا بَعْضُ أَشْغَالِ الْحَمَامِ. هُنَاكَ أَرْضُ
 الْحُلُمِ عَالِيَةً، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ تَسِيرُ عَارِيَةً
 وَتَشْكُنُ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ ...

في مصر

في مصر، لا تتشابهُ الساعات ...
 كلُّ دقيقةٍ ذكرى تجددُها طيورُ النيل.
 كنتُ هناك. كان الكائنُ البشريُّ يتكرَّرُ
 الإلهُ/ الشمس. لا أخذُ يُسمِّي نفسه
 أحداً. «أنا ابنُ النيل - هذا الاسم
 يكفيني». ومنذ اللحظة الأولى تُسمِّي
 نفسك «ابن النيل» كي تتجنبَ الغدَمَ
 الثقيل. هناك أحياءٌ وموتى يقطفون
 معاً غيومَ القطنِ من أرض الصعيد،
 ويزرعون القمحَ في الدلتا. وبين الحَيِّ
 والمَيِّت الذي فيه تناؤُ حارسين على
 الدفاع عن النخيل. وكلُّ شيء عاطفيٌّ

فيك، إذ تمشي على أطراف روحك في
 دهايز الزمان، كأنَّ أُمَّكَ مِصْرَ
 قد وَلَدَتْكَ زَهْرَةُ لُوتِس، قبل الولادة،
 هل عرفت الآنَ نَفْسَكَ؟ مِصْرَ تَجَلِّسُ
 خَلْسَةً مَعَ نَفْسِهَا: «لا شيء يشبهني».
 وترفو معطفَ الأبدية المثقوب من
 إحدى جهات الريح. كُنْتُ هناك. كان
 الكائنُ البشريُّ يكتبُ حكمة الموت / الحياة.
 وكلُّ شيء عاطفيٍّ، مُقْمِرٌ ... إلَّا القصيدة
 في التفاتتها إلى غدها تُفَكِّرُ بالخلود،
 ولا تقول سوى هشاشتها أمام النيل...

أتذكر السَّيَّاب

أتذكُّر السَّيَّابَ، بصرَّخ في الخليج سُدى:
 «عراقُ، عراقُ، ليس سوى العراق...»
 ولا يردُّ سوى الصدى.
 أتذكُّر السَّيَّابَ، في هذا الفضاء السومريِّ
 تغلَّبتُ أنثى على عُقْم السديمِ
 وأورثتنا الأرض والمنفى معاً
 أتذكُّر السَّيَّابَ... إن الشَّعْرَ يُولَدُ في العراقِ
 فكُنْ عراقياً لتصبح شاعراً يا صاحبي!
 أتذكُّر السَّيَّابَ، لم يَجِدِ الحياةَ كما
 تخيَّلَ بين دجلةَ والفراتِ، فلم يفكر
 مثلَ جلجامشٍ بأعشاب الخلودِ،
 ولم يفكر بالقيامة بعدها...

أَتَذْكُرُ السِّيَابَ، يَاخُذْ عَنْ حَمُورِائِي
 الشَّرَائِعَ كَيْ يُعْطِي سَوَاءً،
 وَيَسِيرَ نَحْوَ ضَرْيَحِهِ مَتَصَوِّفًا.
 أَتَذْكُرُ السِّيَابَ، حِينَ أَصَابُ بِالْحُمَيِّ
 وَأَهْذِي: إِخُوتِي كَانُوا يُعَدُّونَ الْعَشَاءَ
 لَجَيْشٍ هَوْلَاكُو، وَلَا تَحْدَمُ سَوَاهِمُ ... إِخُوتِي!
 أَتَذْكُرُ السِّيَابَ، لَمْ نَحْلُمْ بِمَا لَا
 يَسْتَحِقُّ النَّحْلُ مِنْ قُوَّةٍ. وَلَمْ نَحْلَمْ
 بِأَكْثَرِ مِنْ يَدَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ تَصَافِحَانِ غِيَابَنَا.
 أَتَذْكُرُ السِّيَابَ. حَذَّادُونَ مَوْتِي يَنْهَضُونَ
 مِنَ الْقُبُورِ وَيَصْنَعُونَ قِيُودَنَا.
 أَتَذْكُرُ السِّيَابَ. إِنَّ الشَّعْرَ تَجَرَّبَةٌ وَمَنْفَى
 تَوَآمَانٍ. وَنَحْنُ لَمْ نَحْلُمْ بِأَكْثَرِ مِنْ
 حَيَاةٍ كَالْحَيَاةِ، وَأَنْ نَمُوتَ عَلَى طَرِيقَتِنَا
 «عِرَاقُ»
 «عِرَاقُ»
 «لَيْسَ سِوَى الْعِرَاقِ ...»

II

طريق الساحل

مطابقين الكوكبة المثلث

طريقٌ يُؤدِّي إلى مصرَ والشام
 [قلبي يرنُّ من الجهتين]
 طريقُ المسافر من ... وإلى نفسه
 [بجسدي ريشةً والمدى طائر]
 طريقُ الصواب ... طريقُ الخطأ
 [لعلِّي أخطأتُ، لكنها التجربة]
 طريقُ الصعود إلى سُرُفات السماء
 [وأعلى وأعلى، وأبعد]
 طريقُ النزول إلى أوَّل الأرض
 [إنَّ السماءَ رماديَّة]
 طريقُ التأمل في الحبِّ
 [فالحبُّ قد يجعلُ الذئبَ نادلاً مقهى]

طريقُ السنونو ورائحةُ البرتقال على البحر
[إنَّ الحنينَ هُوَ الرائحةُ]

طريقُ التَّوَابِلِ والملحِ والقمحِ
[والحربِ أيضاً]

طريقُ السلامِ المُتَوَجِّعِ بالقُدْسِ
[بعد انتهاء الحروب صليبيَّة الأفعنة]

طريقُ التجارة والأبجدية، والحالمين
[بتأليف سيرة يزغلة]

طريقُ عِزَّةٍ يريدون ترميمَ تاريخهم
[بغيد مُودَع في البنوك]

طريقُ التَّحَرُّشِ بالميثولوجيا
[فقد تَسْتَجِيبُ إلى التكنولوجيا]

طريقُ التخلِّي، قليلاً، عن الإيديولوجيا
[لمصلحةِ العَوْلَمَةِ]

طريقُ الصراعِ على أيّ شيءٍ

[ولو كان جنسُ الملاك]

طريقُ الوفاقِ على كلّ شيءٍ

[ولو كان أنثى الحجر]

طريقُ الإخاءِ المُخاتِلِ

[بين الغزالِ وصيادِهِ]

طريقُ يدلُّ على الشيءِ أو عكسه

[لفرط التشابهِ بين الكِنَايَةِ والاستعارة]

طريقُ الخيولِ التي صرَّعتُها المسافاتُ

[والطائرات ...]

طريقُ البريدِ القديمِ المُسجَّلِ

[كُلُّ الرسائلِ مُودَّعةٌ في خزائنِ قيصِر]

طريقُ يطولُ ويقصُرُ

[ووفقَ مزاجِ أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي]

طريقُ الإلهابِ مُتَحَنِيَاتِ الظُّهُورِ

[كرايات جيشٍ تَقْهَقُوا]

طريقُ فتاةٍ تُظَلِّلُ عَائِثَهَا بِالْقِرَاشَةِ

[فَاللَّازِزُورُ يُجَرِّدُهَا مِنْ مَلَابِسِهَا]

طريقُ الذين يُحَيِّرُهُمْ وَصَفُ زهرةٍ لوزٍ

[لأنَّ الكُثَافَةَ شَفَافَةٌ]

طريقُ طويلٍ بلا أنبياء

[فقد آثروا الطُّرُقَ الوَعِرَةَ]

طريقُ يُؤدِّي إلى طَلَلِ البيتِ

[تحت حديقةٍ مُسْتَوْطِنَةٍ]

طريقُ يَسُدُّ عَلَيَّ الطُّرُقِ

فَيَصْرُخُ بِي شَبَّاحِي:

إِنْ

أُردتْ

الوصولَ

إلى

نفسك الجامعة

فلا

تُشَلِّكْ

الطُّرُقَ الواضحة!

مكتبة المركز
بمكة المكرمة
١٤٣٠

III

لا كما يفعل السائح الأجنبي

مكتبة الدكتور محمد العبد

مَشَيْتُ عَلَى مَا تَبَقَّى مِنَ الْقَلْبِ،
 صَوَّبَ الشَّمَال ...
 ثَلَاثُ كِنَائِسٍ مَهْجُورَةٍ،
 سَنَدِيَانَّ عَلَى الْجَانِبَيْنِ،
 قُرَى كِنَقَاطٍ عَلَى أَحْرُفٍ مُجِيثٍ،
 وَفَتَاةٌ عَلَى الْعُشْبِ تَقْرَأُ مَا
 يُشْبِهُ الشَّمْعَ: لَوْ كُنْتُ أَكْبَرَ،
 لَوْ كُنْتُ أَكْبَرَ، لَامْتَسَلَمَ الذُّثْبُ لِي!

... لَمْ أَكُنْ عَاطِفِيًّا، وَلَا «دُونْ جِوَان»
 فَلَمْ أَتَمَدَّدْ عَلَى الْعُشْبِ، لَكِنِّي
 قُلْتُ فِي السَّرِّ: لَوْ كُنْتُ أَصْغَرَ

لو كنتُ أصغرَ عشرين عاماً
لشاركتُها الماءَ والسندويشات،
وعلمتها كيف تلمسُ قوس قزح

مَثَبْتُ، كما يفعل السائح الأجنبي ...
معي كاميرا، ودليلي كتاب صغير
يضم قصائد في وصف هذا المكان
لأكثر من شاعر أجنبي،
أحس بأنني أنا المتكلم فيها
ولولا الفوارق بين القوافي لقُلْتُ:
أنا آخري

... كنت أتبع وصف المكان. هنا
شجر زائد، وهنا قمر ناقص
وكما في القصائد: ينبث عشب
على حَجَر يتوجع. لا هو حلُم
ولا هو رمز يدل على طائر وطني،

ولكنه غيمةٌ أينعتُ...

خطوة، خطوتان، ثلاث ... وَجَدْتُ الربيع
قصيراً على المشيشيات. ما كَدْتُ أُرنو
إلى زهرة اللوز حتى تنائرُ ما بينَ
عَمَازَيْنِ. مَشَيْتُ لِأَتَبَعَ ما تَرَكَهُ الطيورُ
الصغيرةُ من نَمَشٍ في القصائد/

ثُمَّ تساءَلْتُ: كيف يصير المكانُ
أَنعكاساً لصورته في الأساطير،
أو صِفَةً من صفات الكلام؟
وهل صورةُ الشيء أقوى
من الشيء؟

لولا مخيلتي قال لي آخري:
أَنْتَ لَسْتَ هنا!

لم أكن واقعياً. ولكنني لا

أُصدِّقُ تاريخَ «إلياذة» العسكري،
 هُوَ الشَّعْرُ، أسطورةٌ خَلَقْتُ واقعاً...
 وتساءلتُ: لو كانتِ الكاميرا والصحافةُ
 شاهدةً فوق أسوار طروادة الآسيوية،
 هل كان «هومير» يكتب غير الأوديسة؟/

... أُمْسِكُ هذا الهواءَ الشهيءَ،
 هواءَ الجليل، بكلتا يديَّ
 وأَمْضَعُهُ مثلما يَمْضَعُ الماعزُ الجبليَّ
 أَعَالِي الشُّجَيْرَاتِ،
 أَمْشِي، أَعْرِفُ نفسي إلى نفسها:
 أَنْتِ، يا نفسُ، إحدى صفات المكان

ثلاثُ كنائسٍ مهجورةٌ
 مآذُنُ مكسورةٌ،

سنديانٌ على الجانبين،
 قرئَ كَنَقَاطٍ على أَحْرَافٍ مُجِيثٍ،
 وفَتَاةٌ على العشب تسأل طيفاً:
 لماذا كبرت ولم تنتظرنني
 يقول لهما: لم أكن حاضراً
 عندما ضاق ثوبُ الحرير بثِقَاحَتَيْنِ.
 فغَنِّي، كما كنتِ قبل قليل، تُغَنِّين:
 لو كُنْتُ أَكْبَرَ، لو كُنْتُ أَكْبَرَ.../

أَمَّا أَنَا، فسَادَخُلُ في شجر التوتِ
 حيث تُحَوِّلُنِي دُودَةُ القَرِّ خَيْطَ حريرٍ،
 فأَدْخُلُ في إبرةِ امرأةٍ من
 نساءِ الأماطيرِ،
 ثم أَطِيرُ كشالٍ مع الريح...

مكتبة الحرم المكي
جامعة الملك سعود

IV

بيت من الشعر/
بيتُ الجنوي

مطالعتكم الكريمة المحترمة
والعفو

[علي ذكرى أمل طفل]

واقفاً مَعَهُ تحت نافذة،
أَتَأْمَلُ وَشَمَ الظلال على
ضَفَّةِ الأبدية، قُلْتُ له:
قد تَغَيَّرَتْ يا صاحبي وَانْقَطَرَتْ
فها هي دَرَجَةُ الموت تدنو
ولكنها لا تحركُ صرختك الحافظة

□

قال لي: عِشْتُ قرب حياتي
كما هي،

لا شيء يُثَبِّتُ أَنِّي حيٌّ
ولا شيء يثبتُ أَنِّي ميتٌ

ولم أتدخّل بما تفعل الطير بي
وبما يحيل الليل من
مرّض العاطفة



ألغياّب يرفّ كزوجيّ حمام على النيل...
يُؤبّئنا باختلاف الخطى حول فعل المضارع...
كُنّا معاً، وعلى جدّة، نَسْتَجِبُّ غداً
غامضاً. لا نريدُ من الشيء إلّا
شفافية الشيء: حدّق تَرِ الوردَ
أسود في الضوء. وأحلم تَرِ الضوء
في العتمة الوارفة...



ألجنوبيّ يحفظ درب الصعاليك عن
ظهر قلب. ويُشبهُهُم في سليقتهم
وارتجال المدى. لا «هناك» له،

لا «هنا»، لا عناوين للفوضوي
 ولا مشجب للكلام. يقول: النظام
 احتكام الصدى للصدى. وأنا صوت
 نفسي المشاع: أنا هو أنت ونحن أنا.
 وينام على درج الفجر: هذا هو
 البيت، بيت من الشعر، بيت الجنوبي.
 لكنه صارم في نظام قصيدته. صانع
 بارع يُنقِذ الوزن من صحب العاصفة



الغياب على حاله. قمر عاير فوق
 حوقو يذهب سقف النخيل. وسائحة
 تملأ الكاميرا بالغياب، وتساءل: ما
 الساعة الآن؟ قال لها: الساعة
 الآن عشر دقائق ما بعد سبعة

آلاف عامٍ من الأبدية. ثم تنهد:
 مضر الشهية، مضر البهية مشغولة
 بالخلود. وأما أنا ... فمريض بها، لا
 أفكر إلا بصحتها، وبكسرة خبز
 غدي الناشفة



شاعر، شاعر من سلالته أهل
 الخسارة، وآمن وفي لريف المساكين.
 قرأته عربي، ومزمورة عربي، وقربائه
 عربي. وفي قلبه زمان غريبان،
 يتعدان ويقتربان: غد لا يكف
 عن الاعتذار: «نسيئك، لا تنتظرنني».
 وأمس يجر مراكب فرعون نحو الشمال:
 «انتظرتك، لكن تأخرت». قلت له:

أَهْنُ كُنْتُ إِذَا؟ قَالَ لِي: كُنْتُ
أَبْحَثُ عَنْ حَاضِرِي فِي بَجَائِحِي سُؤْتُوَّةٍ
خَائِفَةٌ ...



الْجَنُوبِيَّ يَحْمِلُ تَارِيخَهُ يَنْدِيهِ، كَحَفْنَةِ قَمْحٍ،
وَيَمْشِي عَلَى نَفْسِهِ وَائْتِقَانٍ مِنْ يَسُوعَ
السَّنَابِلِ. إِنَّ الْحَيَاةَ بَدِيهِيَّةٌ ... فَلِمَاذَا
نَفْسُهَا بِالْأَسَاطِيرِ؟ إِنَّ الْحَيَاةَ حَقِيقِيَّةٌ
وَالصَّفَاتِ هِيَ الزَّائِفَةُ



قَالَ لِي فِي الطَّرِيقِ إِلَى لَيْلِهِ:
كُلَّمَا قُلْتُ: كَلَّا. تَجَلَّى لِي اللَّهُ
حَرِيَّةٌ ... وَبَلَغْتُ الرِّضَا الْبَاطِنِيَّ عَنْ
النَّفْسِ. قُلْتُ: وَهَلْ يُضْلِحُ الشَّعْرُ

ما أفسد الدهرُ فينا وجنكيزخان
وأحفادهُ العائدون إلى النهرِ؟
قال: على قَدَرِ حُلْمِكَ تَتَسَّعُ الأرضُ.
والأرضُ أُمُّ المَخَيَّلَةِ النازفةِ



قال في آخر الليل: خذني إلى البيت،
بيتِ المَجَازِ الأخيرِ ...
فإني غريبٌ هنا يا غريبُ،
ولا شيءٌ يُفَرِّحُنِي قَرَبَ بَيْتِ الحَبِيبِ
ولا شيءٌ يَجْرَحُنِي فِي «طَرِيقِ الحَبِيبِ» البعيدِ
قلت: وماذا عن الروحِ؟
قال: سَتَجْلِسُ قُرْبَ حَيَاتِي
فلا شيءٌ يَنْبِثُ أَنِّي مَيِّتٌ
ولا شيءٌ يَبْثُ أَنِّي حَيٌّ

ستحيا، كما هي
حائرة آسفة ...

مكتبة المكتبة العامة

v

كحادثه غامضة

في دار پابلو نيرودا، على شاطئ
 الياسفيك، تذكُّرتُ يانيس ريتسوس.
 كانت أئينا ترُحَّبُ بالمقامين من البحر،
 في مَسْرَحٍ دائريٍّ مُضاءٍ بصرخة ريتسوس:
 «إِهْ فلسطينُ،

يا أَسْمَ الترابِ،

ويا أَسْمَ السماءِ،

سَتَنْتَصِرِينَ...»

وعانقني، ثُمَّ قَدَّمَنِي شاهراً شارة النصر:
 «هذا أُنحَى».

فَسَعَرْتُ بِأَنِّي انتصرتُ، وَأَنِّي انكسرتُ
 كقطعة ماسٍ، فلم يَبْقَ مِنِّي سوى الضوء/

في مطعم دافئ، نبادلُ بَغْضَ الحنين
إلى بَلَدَيْنَا القديمين، والذكريات عن
الغد: كانت أثينا القديمة أجمل.
أما يَتُوس، فلن تتحمل أكثر. فالجنرال
استعار قناعَ النبي لبيكي ويسرق
دمعَ الضحايا: «عزيزي العَدُو!»
فَتَلُوكَ من دون قصد، عدوي العزيز،
لأنَّكَ أزعجت دبابتي!



قال ريتسوس: لكنَّ اسبارطة انكسرت
في مهبط الخيال الأثيني. إنَّ الحقيقةَ
والحقَّ صنوان ينتصران معاً. يا أخي
في القصيدة! للشعر جسرٌ على
أمس والغد. قد يلتقي باعةُ السمك

المُتَقَبَّونَ مع الخارجين من الميثولوجيا.
وقد يشربون النبيذ معاً.

قلتُ: ما الشعر؟ ... ما الشعرُ في
آخر الأمر؟

قال: هو الحدُّثُ الغامضُ، الشعرُ
يا صاحبي هو ذاك الحنينُ الذي لا
يُفسَّرُ، إذ يجعلُ الشيءَ طيفاً، وإذ
يجعلُ الطَّيْفَ شيئاً. ولكنه قد يُفسَّرُ
حاجتنا لاقتسامِ الجمالِ العُشُمِيِّ... /



لا بحر في بيته في أثينا القديمة،
حيث الإلهاتُ كنَّ يُدْرَنَ شؤون الحياة
مع البَشَرِ الطَّيِّبِينَ، وحيث إلكترا الفتاةُ
تناجي إلكترا العجوزَ وتَسألُها: هل

أَنَا أَنْتَ حَقًّا؟



وَلَا لَيْلٌ فِي بَيْتِهِ الضَّيِّقِ الْمُتَشَفِّفِ
فَوْقَ سَطَوِجٍ تَطْلُ عَلَى الْغَايَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ.
لَوْحَاتُهُ كَالْقَصَائِدِ مَائِيَّةٌ، وَعَلَى أَرْضِ
صَالُونِهِ كُتِبَ رُصِيفَتُ كَالْحَصَى الْمُتَشَقَّى.
قَالَ لِي: عِنْدَمَا يَحْرُنُ الشَّعْرُ أَرْسُمُ
فَوْقَ الْحِجَارَةِ بَغْضَ الْفَخَاخِ لَصِيدِ الْقَطَا.
قُلْتُ: مَنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَى صَوْتِكَ
الْبَحْرُ، وَالْبَحْرُ مَنْشَغَلٌ عَنْكَ يَا صَاحِبِي؟
قَالَ: مِنْ جِهَةِ الذِّكْرِيَّاتِ، وَإِنْ
كَنتَ «لَا أَتَذَكَّرُ أَنِّي كُنْتُ صَغِيرًا».
وُلِدْتُ وَلِي أَخَوَانِ عَدُوَّانِ:
سَجَنِي وَدَائِي.

- وأين وَجَدْتُ الطُّفُولَةَ؟

- في داخلي العاطفي. أنا الطفلُ

والشيخ. طفلي يُعَلِّمُ شيخِي المجاز.

وشيخي يُعَلِّمُ طفلي التأمل في خارجي.

خارجي داخلي

كُلَّمَا ضَاقَ سَجَنِي تَوَزَّعْتُ فِي الْكُلِّ،

وَاتَّسَعْتُ لِعَنِي مِثْلَ لُؤْلُؤَةٍ كُلَّمَا عَشَعَسَ

الليل ضاءَهُ /



وقلت: تعلَّمْتُ مِنْكَ الكثير. تعلَّمْتُ

كيف أُدْرِبُ نَفْسِي عَلَى الانشغال بِحُبِّ

الحياة، وكيف أُجَدِّفُ فِي الْأَيْضِ

الْمُتَوَسِّطِ بَحْثاً عَنِ الدَّرَبِ وَالْبَيْتِ أَوْ

عَنْ ثُنَائِيَةِ الدَّرَبِ وَالْبَيْتِ /

لم يَكْتَرِثْ لِلتَّحِيَّةِ. قَدَّمْ لِي قَهْوَةً.
ثم قال: سيرجع أوديشكم سالماً،
سوف يَرْجِعُ /...



في دار پابلو نيرودا، على شاطئ
الپاسفيك، تذكَّرتُ يا نيس ريتسوس
في بيته. كان في ذلك الوقت يدخلُ
إحدى أساطيره، ويقول لإحدى الإلهات:
إنَّ كان لا بُدَّ من رحلة، فلتكنْ
رحلةً أبديةً!

VI

ليس للكردي إلا الريح

مطابقين الكوكبة المثلث

[إلى: سليم بركات]

يَتَذَكَّرُ الكَرْدِيُّ، حينَ أُوْرزُهُ، عُدَّهُ...
 فَيُبْعِدُهُ بِمُكْنَسَةِ الغُبَارِ: إِلَيْكَ عَنِّي!
 فَالْجِبَالُ هِيَ الْجِبَالُ. وَيَشْرِبُ القُودَ كَمَا
 لَكِي يُقِي الخِيَالَ عَلَى الحَيَاد: أَنَا
 الْمَسَافِرُ فِي مَجَازِي، وَالكَرَاكِي الشَّقِيَّةُ
 إِنْخَوْتِي الْحَقْمَى. وَيَنْقُضُ عَنْ هُوِيَّتِهِ
 الظَّلَالَ: هُوِيَّتِي لُغْتِي. أَنَا... وَأَنَا.
 أَنَا لُغْتِي. أَنَا الْمُنْفَى فِي لُغْتِي.
 وَقَلْبِي جَمْرَةُ الكُرْدِيِّ فَوْقَ جِبَالِهِ الزَّرْقَاء.../

نَيْقُوشِيَا هَوَامِشُ فِي قَصِيدَتِهِ،

ككُلِّ مَدِينَةٍ أُخْرَى. عَلَى دَرَجَةٍ
 حَمَلِ الْجَهَاتِ، وَقَالَ: أَشْكُرُ أَيْضًا
 وَقَعْتُ بِي الْجَهَّةَ الْأَخِيرَةَ. هَكَذَا
 آخِثَارُ الْفِرَاقِ وَنَامَ. لَمْ يَحُلُمْ
 بِشَيْءٍ مُنْذُ حَلَّ الْجُرْنِ فِي كَلِمَاتِهِ،
 [كَلِمَاتُهُ عَضَلَاتُهُ. عَضَلَاتُهُ كَلِمَاتُهُ]
 فَالْحَالُمُونَ يُقَدِّسُونَ الْأَمْسَ، أَوْ
 يَرْتَشُونَ بِوَابِ الْغَدِ الذَّهَبِيِّ ...
 لَا عَدَّ لِي وَلَا أَمْسٍ. الْهَيْئَةُ
 سَاحَتِي الْبَيْضَاءُ ... /

مَنْزَلُهُ نَظِيفٌ مِثْلُ عَيْنِ الدِّيكِ ...
 مَنَسِيٌّ كَخَيْمَةِ سَيِّدِ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 تَبَعْتَرُوا كَالرِّيشِ. سَجَّادٌ مِنَ الصُّوفِ
 الْمُجَعَّدِ. مُعْجَمٌ مُتَاكَلٌ. كُتِبَ مُجَلَّدَةٌ

على عَجَلٍ. مخدّات مطرّزة بإبرة
خادم المقهى. سكاكين مُجْلَخة لذبح
الطير والخنزير. فيديو للإباحيات.
باقات من الشوك المُعَادِلِ للبلاغة.
شُرْفَة مفتوحة للاستعارة: ها هنا
يَبْذُلُ الأتراك والإغريقُ أدوارَ
الشتائم. تلك تشليبي وتَشْلِيبي
الجنود الساهرين على حدود فُكاهية
سوداء ... /

ليس مسافراً هذا المسافر، كيفما اتَّفَقَ ...
الشمالُ هو الجنوب، الشرقُ غَرْبٌ
في السراب. ولا حقائب للرياح،
ولا وظيفة للغبار. كأنه يُخفي
الحنينَ إلى سواه، فلا يُغْنِي ... لا

يُغْنِي حِينَ يَدْخُلُ ظِلُّهُ شَجَرُ الْأَكَاشِيَا،
 أَوْ يَلُلُ شَعْرُهُ مَطَرٌ خَفِيفٌ ...
 بَلْ يُنَاجِي الذُّئْبَ، يَسْأَلُهُ النِّزَالَ:
 تَعَالِ يَا أَمِينَ الْكَلْبِ تَقَرَّعْ طَبْلَ
 هَذَا اللَّيْلِ حَتَّى نَوْقُظَ الْمَوْتَى. فَإِنَّ
 الْكَرْدَ يَقْتَرِبُونَ مِنْ نَارِ الْحَقِيقَةِ،
 ثُمَّ يَحْتَرِقُونَ مِثْلَ فَرَّاشَةِ الشُّعْرَاءِ/

يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ مِنَ الْمَعَانِي. كُلُّهَا
 عَبَثٌ. وَلِلْكَلِمَاتِ حَيَاتُهَا لَصِيدِ نَقِيبُضِهَا،
 عَبَثًا. يَفْضُ بَكَارَةَ الْكَلِمَاتِ ثُمَّ يَعِيدُهَا
 بِكَرًّا إِلَى قَامُوسِهِ. وَيَسْهُوُّ خَيْلَ
 الْأَبْجَدِيَّةِ كَالْخُرَافِ إِلَى مَكِيدَتِهِ، وَيَحْلُقُ
 عَائَةً أَلْفَةً: انْتَقَمْتُ مِنَ الْغِيَابِ.

فَعَلْتُ مَا فَعَلَ الضَّبَابُ بِإِخْوَتِي،
وَسَوَّيْتُ قَلْبِي كَالطَّرِيدَةِ. لَنْ أَكُونَ
كَمَا أُرِيدُ. وَلَنْ أَحِبَّ الْأَرْضَ أَكْثَرَ
أَوْ أَقَلَّ مِنَ الْقَصِيدَةِ. لَيْسَ
لِلكَرْدِيِّ إِلَّا الرِّيحُ تَسْكُنُهُ وَيَسْكُنُهَا.
وَتُدْمِئُهُ وَيُدْمِئُهَا، لِيَنْجُوَ مِنْ
صِفَاتِ الْأَرْضِ وَالْأَشْيَاءِ ... /

كَانَ يَخَاطَبُ الْمَجْهُولَ: يَا أَبْنِي الْحَزَّاءُ!
يَا كَبِشَ الْمَتَاهِ السَّرْمَدِيِّ. إِذَا رَأَيْتَ
أَبَاكَ مَشْنُوقًا فَلَا تُنْزِلْهُ عَنْ حَبْلِ
السَّمَاءِ، وَلَا تُكَفِّنْهُ بِقَطْنِ نَشِيدِكَ
الرَّعَوِيِّ. لَا تَدْفِنْهُ يَا أَبْنِي، فَالرياحُ
وَصِيَّةُ الْكَرْدِيِّ لِلكَرْدِيِّ فِي مَنْفَاهُ،
يَا أَبْنِي... وَالنَّسْرُ كَثِيرَةٌ حَوْلِي

وحولك في الأناضول الفسيح.
 جنازتي سرية رمزية، فخذ الهباء
 إلى مصائره، وجرّ سماعك الأولى
 إلى قاموسك السحري. واحذر
 لدغة الأمل الجريح، فإنه وحش
 خرافي. وأنت الآن... أنت الآن
 حرّ، يا آبن نفسك، أنت حرّ
 من أيك ولعنة الأسماء.. /

باللغة انتصرت على الهويّة،
 قلّك للكرديّ، باللغة انتقم
 من الغياب
 فقال: لن أمضي إلى الصحراء
 قلّك: ولا أنا ...

ونظرت نحو الريح /

- عمت مساء

- عمت مساء!

مطابقاً للمكتب المذكور
بمكتب المحققين

صدر للشاعر

- أوراق الزيتون
- عاشق من فلسطين
- آخر الليل
- حبيتي تنهض من نومها
- العصافير تموت في الجليل
- أُحبك، أو لا أُحبك
- محاولة رقم ٧
- تلك صورتها، وهذا انتحار العاشق
- أعراس
- مديح الظل العالي
- حصار لمذاتح البحر
- هي أغنية، هي أغنية
- ورد أقل

- مأساة النرجس، ملهاة الفضة
- أرى ما أريد
- أحد عشر كوكباً
- دهبان محمود درويش (جزآن)

مكتبات
الكتاب
العاشد

وعن «رياض الرئيس للكتب والنشر»

لماذا تركت الحصان وحيداً

الطبعة الأولى كانون الثاني / يناير ١٩٩٥

الطبعة الثانية أيلول / سبتمبر ١٩٩٥

الطبعة الثالثة شباط / فبراير ٢٠٠١

سرير الغريبة

الطبعة الأولى كانون الثاني / يناير ١٩٩٥

الطبعة الثانية شباط / فبراير ٢٠٠٠

جدارية

الطبعة الأولى حزيران / يونيو ٢٠٠٠

الطبعة الثانية شباط / فبراير ٢٠٠١

حالة حصار

الطبعة الأولى نيسان/ أبريل ٢٠٠٢

الطبعة الثانية حزيران/ يونيو ٢٠٠٢

منتديات
الكويت
العاشر

محمود درويش

لا تعتذر عما فعلت

«أمشي تأتي واحد غيري. وجرحني وردة
بعضاء التحلية. ويدي مثل حماسين
على الصليب فحلقتان وتحملان الأروع
لا أمشي. أطير. أصير غري في
التحلي. لا مكان ولا زمان لمن أنا»
أنا لا أنا في حضرة السمراج. لكني
أفكر. زحمة، كاء التي محمد
يتكلم العربية المضطحة. وماذا بعد؟
ماذا بعد؟ ما حلت فجأة جديدة.
فمر أنت ثانية؟ ألم أفلت؟
فلت قتلتي. ونسيت. مطلق. أن موت «
من قسيمة «في القدس»

